

مسرحيات مختارة
ورود حمراء من أجلى
تأليف : شون أوكيسى
ترجمة : محمد توفيق مصطفى
مراجعة : سعيد خطاب
الهيئة المصرية العامة للكتاب

• مسرحيات مختارة •

ورود حمراء من أجلي

تأليف: شون أوكيسي

ترجمة: محمد توفيق مصطفى

مراجعة: سعيد خطاب

مقدمة

لقد كانت الدراما الايرلندية حتى القرن التاسع عشر تعتبر جزءا من الدراما الانجليزية ، يسودها الانهيار الذى أصاب المسرح الانجليزى منذ بداية القرن السابع عشر ، مما أدى الى غلق أبواب المسرح الانجليزى فى الفترة من ١٦٤٢ الى ١٦٦٠ م ٠

وعندما فتحت المسارح أبوابها بعد ذلك لم يكن لهذا المسرح (المسرح الانجليزى) الثقـــل الدرامى الذى تمتع به خلال العهــد الاليزابيثى ٠ وقد ذكرت الكاتبة « أليس فيرمور » فى كتابها عن الحركة الدرامية « ان نهضة المسرح الانجليزى فى عصر العودة لم تكن سوى نهضة مظهرية أكثر منها حقيقية ذلك لأنه قد أدخلت عوامل جديدة تحد من الكوميديا والدراما البطولية ، وأوجدت مسرحا من نـــوع خاص لا يحمل الخصب والشمول اللذين كانا يميزان الدراما من قبل عندما كانت الدراما فنا قوميا مثلما كانت فى آثينـــا » ٠

واذا كان الكاتب النرويجى «هنريك ابسن» عن طريق مسرحه وعالمه وتجديداته فى الشكل أو المضمون قد حقن المسرح الانجليزى بدم جديد عليه مما ترتب عليه أن اتجه

المسرح الانجليزى الى قضـايا المجتمع مستخدما لغة النثر فى كتابة مسرحياته ·· نجد أن المسرح الايرلندى يغذى المسرح الانجليزى بالدراما الشاعرية · واستطاع المسرح الايرلندى أن يعرض الحياة العادية بلغة المسرح الشعرى · وبدأ « ييتس » ـ عن طريق الجمعية الأدبية الايرلندية التى أنشأها فى لندن سنة ١٨٩١ ، ثم عن طريق الجمعية الأدبية القومية فى دبلن سنة ١٨٩٢ ـ يناضل من أجل اعادة الشعر الى المسرح بعد أن طردته الميلودراما والهزليات من المسرح خلال فترة الانهيـار ·

ولم يكن الشعر الموزون هو أساس المسرح الايرلندى فى تلك الفترة ، بل كانت الروح الشـاعرية هى التى غلفت المسرحيات مما مكن الحركـة الدراميـة الايرلندية من أن تنقذ المسرح الانجليزى من الانهيار ، وكانت أعمال « شـون أوكيسى » ضمن أعمـال الكتاب الآخرين الذين قدموا تراثا انسانيا دائم التأثير ·

وكما كان لدعوة ييتس أثر واضح فى تدعيم اتجاه كاتبنا شـون أوكيسى نجد كذلك أن مسـاندة « ليـدى جريجورى » له قد أثرت فيه تأثيرا مباشرا ·

لقد كتب ييتس عن دعوته يقول « تهدف حركتنا الى الرجوع للناس ، والمسرحية التى تعطيهم متعة طبيعية يجب أن تصور لهم حياتهم الخاصة ، أو تلك الحياة الشـاعرية التى يرى فيهـا كل انسان صـورته حين تهرب الطبيعة

البشرية من جميع الظروف التعسفية ، فاذا أردت أن ترفع من مستوى رجل الشارع فعليك اذن أن تكتب عن الشارع أو عن الشخصيات الخيالية أو عن شخصيات التاريخ العظيمة » .

ودأبت « ليدى جريجورى » على تشجيع أوكيسى وحثه على أن يكتب عن سكان الأزقة والأحياء الشعبية ، حيث كانت تدرك أن أوكيسى يعرف هؤلاء الناس عن قرب ذلك لأنه عاش صغره فى أحد المساكن الشعبية فى دبلن وانه مارس أقسى الأعمال وأكثرها مشقة : فمن كناس فى الشارع وعامل بالميناء تكونت خبرته الأولى بهذا العالم الذى نشأ فيه .

وفى ظل هذه الظروف الشخصية كانت ليدى جريجورى تعتقد أن أوكيسى قد يفعل شيئا هاما للمسرح الايرلندى .

الا أنه على الجانب الآخر فان الأدب يعكس الظروف السياسية والاجتماعية التى عاصرها . وقد عاصر أوكيسى الفترة التى كان فيها وطنه يئن من الحكم البريطانى ووجد زعيم وطنه « بارنل » يموت مستشهدا بالخيانة فينضم الى صفوف العمال وينادى معهم برفع مستوى الطبقة العاملة وانتشالها من بؤسها ويشترك معهم فى جميع مظاهر الاحتجاج العمالية من أجل حياة أفضل ، وظل يتقدم فى العمل السياسى حتى أصبح سكرتيرا « لجيش

المواطن الايرلندى » الذى تكون لحماية العمال المضربين من الشرطة .

ثم حدث أن تكون « جيش المتطوعين الايرلنديين » وقامت منافسة بينه وبين « جيش المواطن الايرلندى » وانتهى الأمر بأن استقال شون أوكيسى وترك العمل السياسى ليتخذ من المسرح طريقا لتحقيق ما يريد .

ثم بدأ أوكيسى يكتب وينشر انتاجه مثل « أغانى النسر » وقصة « توماس » وقصة «جيش المواطن الايرلندى» الا أنه كان دائما مشدودا الى المسرح فكتب محاولات مسرحية منها « زهرة فى الصقيع » و « عيد الحصاد » و « اللون القرمزى » و « العلم المثلث الألوان » ولكنها باءت بالفشل ولم تحظ بأى نجاح .

الا أنه فى عام ١٩٢٣ ــ وكان أوكيسى قد بلغ الثالثة والأربعين من عمره ــ رفعت ستائر مسرح الآبى عن مسرحيته « خيال مقاتل » وأجمعت آراء النقاد على ظهور نجم جديد فى سماء المسرح يتمتع بالاحساس اللغوى المرهف والنظرة الثاقبة فى فهم الشخصيات والقدرة الشاملة الراسخة فى تناول المادة المسرحية .

وبعد هذا النجاح الذى نالته مسرحيته « خيال مقاتل » كتب مسرحيته المشهورة « جونو والطاووس » التى استمر عرضها على مسرح الآبى مدة طويلة أمام هذا الاقبال الكبير الذى لم يتعوده المسرح من قبل .

والواقع أن أوكيسى قد جعل من الثورة الايرلندية مادة خصبة يستقى منها مسرحياته وجعل منها خلفيته التى يضع أمامها تشكيلاته الدرامية الأساسية ، تلك التشكيلات التى تفسر عمق نظرته واتساعها والخروج من النظرة الايرلندية المحلية الى مناقشة الشرور العامة للمدنية كلها ٠

ان الدين والوطنية والجنس من الأمور التى تحتاج الى حيطة كبيرة فى معالجتها ولكن أوكيسى بسخريته وتهكمه يكشف فى مسرحيته « المحراث والنجوم » عن أعماق النفوس التى تغطى حقيقتها الطنطنة والتشدق بالحرية ٠ فهو يعرى احدى شخصياته التى استهوتها أوهام البطولة ويقول : « لو أننى ظللت فترة أطول راقدا فلربما كنت لم أصب بسوء ، لقد هرب كل انسان ، ولكنى شعرت بأن بطنى تتمزق ولم أستطع أن أصرخ ، هل تظن أننى جرحت جرحا بالغا ، ثيابى تبدو مبتلة جدا ، انه دم يا الهى ، لابد أنه دمى أنا » ٠

ان أوكيسى فى مسرحيته هذه يؤكد أن كل انسان ميسر لما خلق له ، ولا ينبغى له أن يتعلق بأوهام ليس أهلا لها ، والا جلب الدمار لنفسه ولغيره ٠

وعلى هذا المنوال وبهذا النسيج الساخر يواصل أوكيسى كشفه لتلك الأنماط البشرية التى تخفى حقيقتها، ولا يستثنى رجال الدين من حملته ، فهو يكشف عن رجل الدين الذى يتمسح فى دينه ليخفى ضعفه وجبنه وسلبيته٠

الا أنه بعد عرض المسرحية وأمام التيارات العنيفة القاسية التى قوبلت بها لم يكن أمامه الا أن يرحل عن هذا الجو الخانق فيغادر ايرلندا حاملا معه قلمه ليقضى بقية حياته فى انجلترا حيث توفى سنة ١٩٦٤ ٠

واذا كان أوكيسى قد عالج فى مسرحياته قضايا هامة على المستوى السياسى والاجتماعى الا أن استخدامه للسخرية والفكاهة كان دائما يخفف الجانب المأسوى الذى تفرضه طبيعة الموضوع ، وهو بهذا المزج بين الكوميديا والمأساة انما يعكس صورة الحياة الحديثة التى اتسمت بها الدراما الحديثة التى ألغيت النظرة الواحدة المألوفة للطبيعة الانسانية فى كونها ملهاة أو مأساة .

لقد وضع أوكيسى فى مسرحياته عددا كبيرا من السكارى والجبناء والمهرجين وغيرهم الى جانب الأبطال وذلك لاذكاء روح الكوميديا فى أعماله ٠

كما أنه لم يترك عنصرا من عناصر الفكاهة الا واستخدمه فى بناء مسرحياته ٠ والذى نريد أن نؤكده هو أن فكاهة أوكيسى لم تكن عاطلة من عمل العقل ، فهو لا يضحك ولا يسخر من عيب خلقى فى أشخاص ، وانما يسخر من أوضاع درسها ومارسها واستخدم أسلوبه الفكاهى بقصد تغييرها ٠

ومسرحية « ورود حمراء من أجلى » تعتبر قطعة من الخيال الرائع البهيج ذات حوار شاعرى رفيع واحساس

مرهف مركز بالأسى • كما تمتاز بروح التهكم والفكاهة فى اطار متداخل شامل • ورغم بروز شخصية ايامون فان نظرة الكاتب تعلو عن الفرد بحيث يعلق بالأذهان التأثير الشامل والصورة الجامعة لشقاء العاطلين وبائعات الزهور. والبحث الصامت فى الأعماق فى مشهد المقبرة التهكمى وكذلك الجو الفلسفى الذى يحيط بالموضوع بأكمله •

وربما يكون من العبث ايراد موجز عن المسرحية فى هذه المقدمة المختصرة ، ذلك لأن المسرحية كاللوحة تماما لا يمكن تلخيصها أو وصفها بغير ما هى عليه بعناصرها وأسلوب بنائها وقيمتها اللونية وايقاعاتها وفراغاتها ولا يمكن أبدا أن تحدث أثرها الحقيقى بدون تعايش تام بينها وبين المتذوق أو الرائى •

ولهذا نكتفى بالاشارة الى أن هذه المسرحية يمكن اعتبارها من الدراميات التاريخية ، وأنه وان كان بطلها يموت فى النهاية ، الا آن موته لا يذهب هباء ، ذلك لأن موته يؤثر على الآخرين ويشحذ هممهم ويدفعهم الى المقاومة والنضال •

فلم يكن ايامون مخدوعا فى قدراته وكفايته • لقد ضحى بفنه وبأغانيه كما ضحى بحبه لشيلا من أجل القضية الهامة التى ارتبط بها • لقد ناضل من أجل تحقيق فرديته من خلال تحقيق وجود المجموع • لقد جابه تحديات

كثيرة حتى من حبيبته شيلا التى اقتربت روحه منها والتى كانت تمثل العالم البرجوازى بأفكاره ومثله ٠

لقد مات ايامون ليجدد الايمان بتقدم الانســان على الأرض الأمر الذى يوفر له حق الاحترام فى الحياة ٠

وبعد ، فأرجو لك أيها القارىء العزيز معايشة ممتعة كاملة مع مسرحية « ورود حمراء من أجلى » ٠

محمد سعيد خطاب

ورود حمراء من أجلى

تأليف : شون أوكيسى

ترجمة : محمد توفيق مصطفى

هذه ترجمة مسرحية

RED ROSES FOR ME
by
SEAN O'CASEY

شخصيات المسرحية

مسز برايدون	Mrs. Breydon
أيامون برايدون (ابنهـا)	Ayamon Breydon
ايدا	Eeda
ديمبنا (جارات مسز برايدون فى المنزل)	Dympna
فينولا	Finnoola
شيلا مورنين (خطيبة أيامون)	Sheila Moorneen
برينان مور (صاحب بضعة منازل قديمة)	Brennan O'The Moor
المغنى (شاب ذو صوت جميل)	A Singer
رورى بالاكون (وطنى ايرلندى متحمس)	Roory O'Balacaun
مالكانى (ساخر من المقدسات)	Mullcanny
أ ٠ كلينتون (قسيس كنيسة سانت برنابا)	Rev. E. Clinton
صامويل (شماس الكنيسة)	Samuel
المفتش فينجلاس (من خيالة البوليس)	Inspector Finglas

الرجل الأول		1st Man
الرجل الثانى	(جيران منزل برايدون)	2nd Man
الرجل الثالث		3rd Man
دوزارد	(عضوان فى كنيسة سانت برنابا)	Dowzard
فوستر		Foster
مشعل مصابيع الشوارع		A Lamp lighter
عامل السكة الحديد الأول		1st Railwayman
عامل السكة الحديد الثانى		2nd Railwayman

المنـــاظر

الفصل الأول : مسكن أسرة برايدون المكون من حجرتين ·

الفصل الثانى : نفس المنظر

الفصل الثالث : أحد شوارع مدينة دبلن بجانب جسر على نهر ليفى ·

الفصل الرابع : جزء من الفناء المحيط بكنيســـــة سانت برنابا البروتستانتية .

فى خلال هذا الفصل يسدل الستار لبضـــع دقائق للدلالة على مرور بضع ساعات ·

الوقت :

منذ فترة قصيرة ماضية ·

الفصل الأول

الحجرة الأمامية من حجرتين متداعيتين؛في أحدأحياء العمال الفقيرة · الجدران كانت مدهونة باللون الأبيض الذى يتحول الى الاصـــفرار ·· الباب الرئيسى المؤدى الى البهو فى الخلف ناحية اليمين قليلا ·· المدفأة فى الحائط الأيمن · نار متوهجة تشتعل فى الموقد الواســع العتيق الطراز ·· فى وسط الحجرة منضدة قديمة بلون الأبنوس عليها مصباح زيت بفتيل واحد وقد اتســـخت زجاجته قليلا بفعل الزيت الردىء المســتعمل فيه ·· على المنضدة كذلك بضعة كتب وورق وطباشير ملون وقلم وزجاجة حبر صغيرة ·· فى الحائط الأيسر قرب المؤخرة يوجد الباب المؤدى الى الحجرة الثانية ·· على هــذا الباب من ناحية المقدمة أريكة من شعر الخيل عليها آثار البلى ·· فى طرفها كومة من الملاءات والبطاطين مطبقة بعناية تدل على أنها تســتخدم كسرير فى الليل ·· على يسار الباب الرئيسى فى المؤخرة سلة كبيرة مما يستعمله الممثلون الجوالون .. على الجانب الآخر من هــذا الباب خزانة مطبخ عادية على مسطحها الأوســط بعض أدوات المائدة لأن الرف العلوى يشغله صف من الكتب يبدو من مظهرها أنهـا اشتريت مستعملة ·· فوق السلة على الحائط علقت صورة بألوان

الباسنيلى الزاهية منقولة عن لوحة فرانجليكو التى تمثـل ملكا ينفخ فى بوق ذهبى معقوف ، وبجانبها صورة صغيرة ملونة منقولة عن لوحة « حقـــل الخطيئة » للمصـــور كونستابل ·· فى نفس الحائط ناحية الخلف يوجد شباك كبير يصل الى السقف تقريبا ، وعند ما يقترب الناظر منه يشاهد قمة « سيمافور » سكة حديدية بها ذراع متحرك يكشف النور الأحمر أو الأخضر ·· تحت هذا الشـــباك على مقعـــد خشن توجد ثلاث علب من الصفيح زرعت فى الأولى منها شجرة جيرانيوم (زهرة الحبيزى) وفى الثانية شجرة مسك وفى الثالثة شجيرة فوخسيا (فخساء) ·

تبدو زهور الجيرانيوم كبيرة الحجم مشرقة ، وزهور المسك الذهبية الأنبوبية عريضة براقة رابية ؛ أما كئوس الفخساء الأرجوانية وحولها وريقاتها البيضاء الشمعيـة الطويلة فتبدو كبيرة فى حجم زهور الأرم ·· وهذه الزهور القرمزية والذهبية والأرجوانية تخلع لونا بهيجا على الغرفة الفقيرة · تسمع كل حين على البعد صفارة قطار تتبعهـــا أصوات انطلاق البخار الصادرة عن قطار يجر حملا ثقيلا من عربات البضاعة ·· فى الحجرة كرسى أو كرسيان ·

الوقت قبيل مساء أحد أيام منتصف الربيع ، وقـد زاد من ظلمة المغرب تلبد السماء بالغيوم وســـقوط المطر بغزارة على المدينة ·

عندما يرتفع الستار نرى أيامون وأمه فى الحجرة .. وهو طويل قوى البنية فى الثانية والعشرين تقريبا ، عسلى العينين أصفر الشعر مجعده ولكنه مرجل جيدا ، ويذكر وجهه من يتأمله بكلب جميل ثابت الجنان مفكر سمح الطبع .. أما أمه فتناهز الخمسين ، سمراوية الوجه ، عسلية العينين فيهما لمعة جميلة ، تبدو على خديها وحاجبيها علامات الكفاح والعمل الشاق .. ترتدى جاكت سوداء ضيقة فيها عدة رقع مصنوعة بمهارة ، وفستانا أزرق غامقا حائل اللون قليلا .. وحذاء سميك النعل . تغطى ملابسها الآن عباءة من القطيفة الزرقاء مطرزة بشريط فضى .. وهى تجلس على كرسى مطبخ مغطى بقطعة خلقة من القماش الأحمر الغامق .

أيامون يرتدى صديرية من الحرير الأخضر الزاهى فوقها عباءة قرمزية بدون أكمام فى طرفها فرو أبيض .. والجزء الخلفى من العباءة سميك بحيث يكون سناما كبيرا بين كتفيه .. وحول صدره نجاد يتدلى منه غمد وفى يده سيف مقبضه على شكل صليب .. على رأسه قبعة سوداء من اللباد ذات طرف ضيق مثنى ، حولها شريط أسود ، ثبتت فيها

ريشـة قرمزية .. وهو يلبس سراويل ثقيلة سوداء من القطيفة المضلعة ، وفى قدميه حذاء ثقيل بمسـامير فى نعله . وهى وهو فى حالة اصغاء شديد .

مسز برايدون : (هامسـة الى أيامون) انصرفت . أظن أنها كانت تريد اقتراض شيء آخر . انى أعتقد ان سكان هذا البيت مصابون بحمى الاقتراض !!

ايامون : لعنة الله عليها من حمقاء متعبة . أين كنت عندما سمعنا الطرق ؟

مسز برايدون : كنت على وشك أن تقول :

نعم ، ولمزيد من القتل بعد هذا

اغفر لى اللهم خطاياى واعف عنى .

أيامون : (ناظرا الى الأرض) أوه نعم (يلقى)

ماذا ؟ هل يغوص دم لانكستر الملهم فى التراب ؟

كنت أحسبه سيصعد .

(يرفع السيف ويتأمله)

أنظر كيف يبكى سيفى لموت الملك المسكين .

ألا فلتنهمر مثل هذه الدموع دوما

. لأولئك الذين يريدون لأسرتنا السقوط .

واذا كانت قد بقيت حتى الآن أية شرارة من الحياة

(يخبط الأرض بقدمه) فلتسقط الى الجحيم
قائلة اننى أرسلتها الى هناك ٠

(تســمع دقة على الباب . يتصلب أيامون ومسز برايدون مصغيين فى صمت ٠ يسمع صوت رقيق مخشوشن بحكم السن يتكلم فى الخارج) ٠

الصوت : ألا يوجد أحد فى الداخل أو الخارج أو غيرهما ؟ (طرقات أعلى على حين يتحرك أيامون متلصصا حتى يسند ظهره الى الباب) اه ٠ ٠من هناك فى الداخل .. أهناك شخص يتحرك ، أم أن الـكوخ العتيق خال ؟

مسز برايدون : (هامسة) بريتان مور العجوز ٠ جاء هنا اليوم من قبل ٠ لقد جمع ايجار بيوته القديمة ويريد أن يقال له مرة آخرى ان بنـــك ايرلندا مكان أمين لايداعه ٠

أيامون : (محذرا) اش ٠٠٠ ش ٠٠٠ ش !

الصوت : مـــا من مجيب ، آه ؟ مع أنى رأيت نورا فى النافذة ٠٠ لعلهم خرجوا ٠٠ أرجو ذلك لمصلحتهم الخاصـة ، فليس من الشرف فى شىء تجاهل نداء الجار ٠

(يسمع صوت اقدام تبتعد فى الخارج يتلوه لحظات صمت)

مسز برايدون : لقد ذهب · ان حيويته تزداد قليلا يوم أن يجمع ايجاراته ·· لا أدرى كيف يستطيع رجل له مثل ماله أن يستمر فى سكنى حجرتين فى بيت وشارع لا يفضلان مسكننا هذا الا بقليل ··

لم يكن الا نقاشا ولاصقا للورق يموت جوعا ليدخر، ويستعمل دهاءه ليشترى بضعة بيوت عتيقة يعطيها مسحة من الطلاء ثم يفرض أعلى ايجار نظير عناء السكنى فيها !

أيامون : أرجو أن يبتعد بنفسه وبمشاكله عنى الآن فأمامى أشياء أسمى أفكر فيها وأعمال أؤديها ، أولى من أن أرتبط بآلام عجوز مخرف يخشى أبد الدهر أن تنتزع منه قبضة من النقود · ومع هذا فهو ليس شحيحا، لأنه يعطى اللعب للصبية فى عيد الميلاد ولا يضع أبدا فى طبق جمع التبرعات أقل من نصف جنيه كل يوم أحد فى الكنيسة ·

مسز برايدون : لا يضيره أن يفعل هذا ·

أيامون : ماذا قال حين كان هنا من قبل ؟

مسز برايدون : أوه .. الموضوع المعتاد .. سؤالى عن رأيى فى بنك ايرلندا ، والزمجرة عن شخص لم يسدد الايجار ، وأن يوم ميلاده يحل غدا ·

أيامون : (ناظرا الى الكرسى) لابد أن أستعير كرسيا ذا ذراعين وأجد بأى طريقة من يطليهما باللون الذهبى لاخراج الأمر على الوجه الصحيح فى قاعة التمبرانس • وسأرسم لوحة توضع على ظهره تتضمن تصويرا خفيا لبيت لانكستر والوردة الحمراء ، حتى يبدو وكأنه مقعد ملكى •

مسز برايلون : يجب العناية باخراج مشهد قتل دوق جلوستر للملك ، ويجب أن يحاط العمل كله بالفخامة •

أيامون : هذا ما سيحدث • كل ما فى الأمر أنهم خائفون من شكسبير بسبب كل ما قيل عنه • يعتقدون أنه فوق مستواهم مع أنه ، فى كل ما كتب ، بضعة من روح الله الكامنة فىطبيعة كل انسان•• لأجعلنه نديما لهم فى الحانات قبل أن أموت •

مسز برايلون : لا أدرى هل من المناسب عرضه مع حفلة غنائية •

أيامون : لابد أن يجىء مناسبا ، بشرط ألا يبدو الملك هنرى كثير اللغو ينشر الهواء بيديه ويمزق عواطفه اربا .. لقد رأى ذلك المجنون شخصا يؤدى الدور على هذا النحو،وهو يظن أنه مصيب ولابد •(يتنهد) لست أجرؤ على تسميع دورى الآن لأن العجوز بريتان مور ينتظر ويسترق السمع من مكان ما • ولذا

سأكتفي بترديده غيبا • هل قال كم سيبلغ من العمر غدا ؟

مسز برايدون : ستة وسبعين فقط على حسب قوله • ومع هذا يبدو وكأنه يتطلع الى عيد ميلاده الحادي والعشرين •

أيامون : مهما يكن ، لن يطول به الانتظار •

مسز برايدون : (متخابثة) كان يهمهم كذلك عن لحن عزفه على البيانو القديم الذى فى منزله •

أيامون : (يقفز من مقعده) انها احدى مقطوعاتى وقد لحنها (يندفع خارجا من الحجرة ثم يعود بعد لحظات) ليس هناك • أظن أنه ذهب الى بيته • (متضايقا) كنت أود أن تخبرينى بهذا من أول الأمر •

مسز برايدون : أرى أن تحاول أن تستريح قليلا يا ايامون قبل أن تذهب للعمل .

انك تسرف فى ارهاق نفسك • نمت أقل من ساعتين اليوم وأمامك عمل ليل طويل • رسم وقراءة وتأليف أغان وحفظ شكسبير ، ولو كان لديك بيانو لكنت تحاول تعلم الموسيقى • لماذا لا تنصرف الى شىء واحد وتترك ما عداه ؟

أيامون : كل هذه الأشياء رائعة ، وحياتى تحتاجها جميعا•

مسز برايدون : لقد استطعت أنا أن أحيا حياة طيبة بدونها (تذهب الى الشباك وتلمس زهور الفخساء برقة) ثم هناك هذا الاضراب التعيس الذى يوشك أن ينزل على رءوسنا .

ايامون : (جالسا على الكرسى ذى الغطاء الأحمر يقرأ شيكسبير ـ بهدوء وثقة) لن يحدث اضراب . أصحاب الأعمال لن يدخلوا فى صراع . سيوافقون على علاوة الشلن كل أسبوع المطلوبة .

مسز برايدون : (وهى تلمس زهور المسك) أظن أن هذه الحفلة الغنائية تقام لجمع بعض المال ؟

أيامون : (بضيق) هذا صحيح ، هذا صحيح . ولكن فى حالة حدوث الاضراب فقط . ليس لى فيه شأن كبير على أى حال . اجتمعت مع الرجال وخطبت فى أحد الاجتماعات محبذا الطلب ، وهذا كل ما فى الأمر .

مسز برايدون : ستحطم صحتك بكل هذا الذى تفعله . انك تبدد البقية الباقية من وقتك فى الجرى وراء .. (تراجع نفسها فتسكت) .

آيامون : (يضع الكتاب على حجره ـ بغضب) استمرى .. أكملى ما بدأت قوله : الجرى وراء من ؟

مسز برايدون : لا أحد . لا أحد .

ايامون : الجرى وراء شيلا مورتين ٠٠ هذا ما كان فى نيتك أن تقوليه ، أليس كذلك ؟

مسز برايدون : واذا كان هذا صحيحا ٠٠ أصدر قانون جديد يمنع الناس من أن يفكروا فى أفكارهم الخاصة ؟

أيامون : (بحدة) ماذا لديك ضد الفتاة ؟

مسز برايدون : لاشىء ٠ كفتاة ، أقرر أنها « شال » حريرى جميل الألوان بين مجموعة من « شيلان » القطن . كفتاة ، أقرر أنها تستطيع أن تبرز من وراء أسوار الشجر الظليلة على حين ينزوى غيرها، وأن ترفع رأسها حين تبلغ وسط الطريق لتتلقى النور الكاشف الذى يجلوها للناظرين ومع هذا ٠٠

(تتوقف عن الكلام مرة اخرى)

أيامون : نعم ٠٠ ومع هذا ماذا ؟ ان لك طريقة تبعث على الجنون فى عدم أكمال بعض عباراتك ٠

مسز برايدون : (وقد قررت المجازفة) أنها تدين بالمذهب الرومى الكاثوليكى ٠ بل انها غارقة فيه بما درجت عليه من عدم التسامح على الاطلاق مع من يجرؤ على مناقشة ما ينطق به البابا ٠

أيامون : ومن ذا الذى يريد مناقشة ما ينطق به البابا ؟ ان الحياة بكل ما فيها من تغيرات ، ماضية فى

أختبار كل شيء • حتى أقوال البابا • أتظنين انني جاهدت ، ومازلت أجاهد ، فى سبيل تزويد نفسى بشيء من سـمو قرائح الاقدمين ، لمجرد أن أغرق نفسى فى تسليم سلبى بما يقوله البابا ؟ دعى الفتاة تعتقد بما تشاء وتقدس ما تشاء ، فهو تفكيرها الخاص بعقلهـا الخاص • انه ليكفينى كل الكفاية أن تكون صبيحة الوجه حلوة الحديث عزيزة الصحبة ؛ ولو كانت من عباد مامبوجامبو وأقامت صنما فى حديقة البيت •

مسز برايدون : ما زال هناك ما هو ألعن من هذا •

أيامون : أهناك ما هو ألعن ؟ وماذا عسى أن يكون هذا ؟

مسز برايدون : انهـا ابنة جاويش فى الشرطة الملكية الايرلندية • أليست كذلك ؟

أيامون : لا يد لها فى هذا • اليس كذلك ؟

مسز برايدون : أعرف هذا • ولكن الكثيرين تذمروا من أن ابنا لى يصاحب ابنة رجل يقف فى صفوف عدوهم •

ايامون : يبدو أن كل شيء ضدها فيما عدا شخصها . أنا أحب شخصها لا عقيدتها ، وأريد شخصها لا أباها •

مسز برايدون : أن القسم الأكبر من أهل ايرلندا يقول ان علاقة الرجل بالفتاة يجب أن تنظمها عقيدته وعقيدتها

والقسم الآخر يحكم عليها بالطريقة التى يكسب بها أبوها عيشه ٠

أيامون : فلتشاطرهم الدنيا كلها رأيهم ! انهـــا جميلة ، وأذنهـــا الصغيرة مستعدة لأن تسمع كل ما أريد قوله ، ولذا فلو كانت ابنة الظلام نفســـه لأخذت بيدها وبرزت بها وأريتها لكل الناس ٠

مسز برايدون : لن يبقى لها كثير من الجمال بعد أن تسلك معك طريق الفقر عاما ويوما ٠

أيامون : انها لا تقدس الذهب ، كما أن قلبهـا العطوف لا يحن الى الحرير والأطلس من الصين واليابان أو جزر التوابل فى شرق آسيا ٠ ان « شـــالا » وقورا أسود على كتفيها ، و «جونيلة» بســـيطة ، وقدمين حافيتين ، لن تستطيع أغراءها على التطلع الى ماتصبو اليه النساء الغيورات ٠

مسز برايدون : آه ٠ ٠ يالك من مغفــل عظيم يا آيامون ٠ دعنى أقل لك ان قلوب كل الفتيات الســـويات تشتعل بأحلام الأشياء الجميلة ٠ وأزيد على هذا أن السيف الذى يجلجل على خاصرة المفتش فنجلاس ، والريشة الحمراء المعلقة بخوذته الرهيبة ، والفضـــة الثلجية التى تلتمع على بزته ، هى لمعة خاطفة من النور بين عينيها المعذبتين بسراب الأمانى وبين كل ما يمكن أن تراه فيك ٠

أيامون : قولى لى شيئا آخر يضاعف أملى ·

مسز برايدون : استمر فى قراءتك ، ولا تضـايق نفسك بالاصغاء الى أمك ·

أيامون : (يذهب فيضع يديه برفق على كتفيها) انى مصغ ، ولكننى أنأى عنك يا أمى · فأنا الآن شبح مبهم فى شراع من ذهب أسبح فى أفق بعيد ·

مسز برايدون : (بحشرجة فى صوتها) لقد قاسيت وفعلت الكثير من أجلك يا أيامون ياولدى فى أيام حياتى بعد أن عجل الموت العبوس بأبيك الى الآخرة ·

أيامون : أنا الذى أعرف هذا حـق المعرفة · عندما كانت الدنيا ظـلاما كنت تحملين الشمس الى فى يدك على الدوام وعنـدما فضـلت لى أن أموت جوعا على أن أغالب الموت فى أحد الملاجىء ، قدمت لى الحياة لعبة ألهو بها كما تقدم الكرة الملونة الى الطـفل من أبناء الموسرين · (يرفع وجههـا برفق بوضع يده تحت ذقنها) هـذا الوجه ، الوجه العزيز الذى كان ناعما يوما ما قـد تغضن الآن · وهاتان العينـان اللتان مازالتا سمراوين ، واللتان كانتا براقتين يوما ما · قد أعشاهما الآن التطلع القلق الى المستقبل ، والظهر القوى الذى ظل منتصبا ، قد بدأ ينحنى · ورقـة طالت بهـا التجربة وصبغها الجمال بلون البرنز ، تنتظر ريح شتاء بعيدة تفصلها عن الشجرة ·

مسز برايلون : (تزيح يده عن ذقنها بلطف) مازالت قبضتى محكمة • وما زال ظهرى قادراً على النهـوض بالأعباء الثقال • وعيناى اللتان أظلمتا الآن عما كانتا من قبل مازالتا قادرتين على الرؤية بالقدر الكافى •• من الخير أن أخلع هذا الروب المزخرف لكيلا يبعث فى أخيلة الفخار •

(تخلع الروب وتطبقه بعناية وتضعه على السلة ثم تذهب فتصلح نار المدفأة • ينظر ايامون من النافذة وهو يفكر ثم يخلع العباءة والسيف والقبعة ، ويضعها بعناية فوق السلة) •

أيامون : (شارد الفكر) ما أظنه سيجىء الليـلة فى هذا المطر • واذا جاء فسأجعله يقرأ دور الملك وأعيد أنا دورى مرة ثانية •

مسز برايلون : من الذى سيجىء الليلة ؟

أيامون : ملكانى • انه يفتش فى كل دبلن عن كتاب يريد اعطـــاءه لى ، ولو عثر عليه فالمفروض أن يحضره لى الليلة •• « لغز الكون » •

مسز برايلون : وهذا شخص آخر لا أحب أن أراه كثيرا ، لأن كل جيرتنـا هبـــوا يشرعون أسلحتهم فى وجه استهزائه الطائش بالعقـــائد وســـخريته من جميع المقدسات •

ايامون : أوه ؛ ان تيم لا عيب فيه ، غير أن الناس أشد حساسية من أن يحملوا ما يقول على محمل الخير ، واللهب الاسود يبدو واضحا فى عالم زاهى الالوان .

مسز برايدون : أنت لا تعرفهم اذ تقول هذا . سيصيبه السوء يوما ما اذا لم يبق فمه مقفلا .

أيامون : كلام فارغ .

مسز برايدون :

(لفت نفسها بهدوء فى شال . تتحرك نحو الباب فى صمت تام كأنما تريد ان تمنع ايامون من ملاحظة حركاتها ، ولكن الباب يفتح فتظهر ايدا وديمبنا وفينولا وبضعة رجال . تدخل النسوة الثلاث قليلا فى الحجرة ويبقى الرجال عند الباب . وجوههم جامدة كالأقنعة تعلوها مسحة من الاستسلام الصامت ، وتبدو فيها علائم الفقر وقسوة الحياة . وجه ايدا وجه امرأة عجوز ، ووجه ديمبنا وجه امرأة فى منتصف العمر ، أما وجه فينولا فهو وجه شابة . ويبدو اختلاف السن على كل منهن باختلاف التجاعيد غير أن كلا منهن لها نفس النظرة الخرساء الى الحياة .

تحمل ديمبنا بين يديها تمثالا للسيدة العذراء يزيد طوله على قدمين ، كان فيما مضى آية فى نقاء بياضه والتماع زرقته وحلاوة تذهيبه غير أن الالوان قد حالت ، وانمحى الذهبى فيما عدا بقعة او بقعتين خابيتين بقيتا على

التاج . وهذا التاج بدلا من ان يكون كرويا فانه مدبب كبرج المدينة ، يشبه أبراج دبلن. ووجه التمثال الشاحب قد أصابه تصيب محزن من رثاثة حال البيت . يرتدى الرجال ملابس سمراء خلقة وترتدى النسوة ثيابا رمادية حائلة . وفى رداء كل من الجميع رقعة حائلة اللون زرقاء أو حمراء أو خضراء او ارجوانية).

ايدا : (لمسز برايدون) هلا جدت ياعزيزتى مسز برايدون بقليل من صابونك لنغسل تمثال العذراء المباركة ؟ (تخاطب الجميع) ولو أننى قلت مرارا ان الغسل هو الذى ذهب بزرقة الثوب الجميلة وبذهب أطرافه الوضاء وبمعظم جلال التاج . أن أورسولا الصغيرة التى تسكن تحت ، تدخر من فائض نقودها لتشترى لها ثوبا أزرق جديدا ، وتكلفهم بارجاع الذهب الى جلاله ، مع أن كل شلن تحصل عليه تحتاجه لطعامها ودفئها . ولكننا ما علمنا قط أن سيدتنا العذراء تعارض فى بيع تاجها وثوبها الازرق لتسد حاجة شعبها . (مسز برايدون تقدم نصف علبة من بودرة الصابون وهى شاكرة) أشكرك ياسيدتى ومع أنك تدينين بمذهب مغاير فان السيدة العذراء ستباركك أنت وابنك الجميل لهذا العطاء الذى قدمتيه تكريما لها ولمظهرها أمام العالم .

الباقون : (يهمهمون) نعم ستبارككما . هذا أمر مؤكد .

(يخلون طريقا لايدا لتخرج مع ديمبنا حاملة
التمثال التى تتبعها فى شبه موكب بسيط .
تتحرك مسز برايدون ببطء فى اثرهم)

أيامون : (وقد لاحظها من طرف عينه) من المؤكد انك لست خارجة مرة أخرى .. خصوصا فى ليلة كهذه .

مسز برايدون : لست خارجة بالمعنى الصحيح . سأذهب فقط الى بيت مسز كاشمور فى آخر الحارة ، انها معتلة ، وقد وعدت أن أمر عليهـــا لأعد لها شرابا ساخنا أو شيئا ما قبل أن تنام .

أيامون : (متضايقا) أنت تهتمين ببيـــوت الغير أكثر مما تهتمين ببيتك !! فى كل ليلة من ليالى الاسبوع الماضى خرجت لمهمة حمقاء من هذا النوع كما لو كنت واحدة من راهبات الاحسان .

مسز برايدون : ليس فى امكانى أن أجلس مطمئنة وأنـا أعلم أن المرأة المسكينة فى حاجة الى . سأظل طول الليل أسمع صوتها تشكو من أننى لم أذهب لأعد لها شرابا ساخنا وأمهد فراشها وأستوثق من سلامتها خلال الساعات الموحشة فى ليل بطىء الحركة .

أيامون : سيفعلون الكثير لك اذا حدث واحتجت لمعونتهم.

مسز برايدون : وأنى لنا أن نعرف . ان الانسان لا ينبغى أن يفكر فى هذا لأن مثل هذا الاعتقاد سوف يفسد

ويعرى كل شيء نفعله خارج نطاق منفعتنا الخاصة •
ولا ضرر في أن نستخدم ساعة من فراغ في مساعدة
ذي حاجة •

ايامون : وأن تهلكي نفسك في هذا السبيل ؟

مسز برايدون : (وهي تتنهد) سأهلك يوما ما على أي حال
والجسد المتعب البالي يستطيع على الأقل أن يذهب الى
راحته الابدية دون أي تبرير •

(تفتح الباب لتخرج فتظهر شيلا على العتبة•وهي فتاة تناهز الثالثة والعشرين ، طويلة القامة نوعا ، جميلة القوام ، عليها مظاهر القوة التى لاتخلو أبدا من الرشاقة • ذات عينين واسعتين عسليتين تظللهما كل آن وآخر سحابة من الخوف • فمها واسع نوعا ولكنه حلو التكوين• شعرها بني طويل ولو أنها تجمعه الآن في لفة سميكة تتدلى على قفاها • ترتدى «بدلة تفصيل» من التويد البني وبلوزة من اللون البني الذهبي وقبعة زرقاء زاهية • وعليها معطف ماكينتوش بلله المطر • وبيدها مظلة طبقت بسرعة ومازالت تقطر ماء على ارض الحجرة • تدخل على استيحاء • من الواضح انها شاعرة بوجود مسز برايدون ولكنها تقاوم استحياءها بالتظاهر بالمرح والخفة • تحاول مسز برايدون ان تخفي بعض الجفاء في تحيتها)

شيلا : أوه ... مســــاء الخير يامسز برايدون ، ياالها من ليلة . أوشكت الريح أن تمزقنى اربا .. ثم المطر..
أوه الريح والجو !!

مسز برايدون : لا بد أنك قـــد هلكت . اخلعى معطفك وتعالى الى المدفأة . كلفى أيامون أن يعد لك فنجانا من الشاى ويعيدك الى الحياة .

شيلا : لا . الواقع اننى أحترق ... فمصــارعة الريــح والمطر بعثت فى الدفء والنشاط .

أيامون : نعم . نعم ... الريح والمطر ... ففيما يختص بالمطر انها تمطر كل يوم .. اجلسى لترفعى الحمل عن ساقيك .

شيلا : المسألة لا تستحق لأننى لن أستطيع البقاء طويلا. (لمسز برايدون) أخارجة فى مثل هذه الليلة يا مسز برايدون ؟

أيامون : (بسرعة) لابد أن تذهب . تلقت نداء عاجلا من جارة فقيرة مريضة .

شيلا : (بتردد) ما هى المسألة ؟ هل .. هل أستطيع أن أقوم بها عنك .

أيامون : (حاسما) لا لا . ليس فى امكانك . فالمرأة تعرف أمى . كل ما فى الأمر أن تطمئن على سلامتها

ودفئها في الفراش أثناء الليل • لن تغيب أمي طويلا •

مسز برايدون : ليلة سعيدة يا مس شيلا • لعلك تكونين هنا عند ما أعود •

شيلا : لا أظن ذلك • لابد أن أنصرف على الفور تقريبا •

مسز برايدون : حسنا •ليلة سعيدة اذن •

(تخرج • يذهب ايامون الى شيلا فيقبلها ويعينها على خلع معطفها)

شيلا : ما كان ينبغي أن تدع أمك تخرج في مثل هذه الليلة ••• فهي لم تعد امرأة شابة •

أيامون : أنا لا أحب التدخل في رغبتها في مساعدة جارة •• انها تحب هذا وهو يفيدها •

شيلا : ولكن المطر يهطل بغزارة ؛ وهي لا تلبس الا شالا خفيفا حول كتفيها •

ايامون : (متبرما) أوه ، انها لن تذهب بعيدا • فلنفكر في أشياء أهم من المطر المنهمر ومن عجوز في طريقها الى تسوية الوسائد في فراش مريضة •

انظرى !! (يتحسس ثوبها) ان طرفه يقطر ماء • الأفضل أن تجففيه قرب النار • استديرى لأفك لك أزراره •

شيلا : (تبعد يده) لا يهم ... انك تفكر الآن فى متعتك الخاصة ·

لم تكن تواقا كهذا لرؤيتى عندما طرقت البـــاب منذ قليل ·

ايامون : أنت ؟ ولكن بريننان مور هو الذى كان هناك ·

شيلا : كنت هناك قبله · وقد طرق الباب أيضا ·

ايامون : (غاضبا من نفسه) وأنا أحسبها طرقات جار متطفل !! كان ينبغى أن أظنها غير ذلك ؛ لأنها كانت رقيقة جدا ·

شيلا : بعد أن حاولت التسلل دون أن يلحظنى أحد ، تركت هناك وكل أهل البيت عرفوا أننى بالباب- وعند ما جريت عائدة سمعتهم يصيحون قائلين ان المغرية التى ترتدى الملابس الأنيقة تحاول أن تدخل بيت برايدون مرة أخرى !! سأواجه موقفا لطيفا مع أهلى حين يسمعون بهذا ·

ايامون : كنت أراجع دورى فى مسرحية شكسبير ولم أكن أريد ازعاجا · وأذن فقد كنت واقفا متصلبا مقطوع الأنفاس كمالك الحزين (أبو قردان) فى البركة صادا حبيبتى عنى !! على أى حال لقد انتهى الأمـــر الآن ، وها أنت بـــين ذراعى آمنة مطمئنـــة جميلة ·

شيلا : (تقاوم للابتعاد عنه) لا · لم ينته الأمر · ثم لا تضمنى بمثل هذا العنف · لا تزعجنى الليلة لأننى متعبة بعض الشيء ·

أيامون : (متبرما) متعبة ؟ مرة أخرى ؟ حسنا ؛ وأنا كذلك متعب أكثر من بعض الشيء · ولكن لن يبلغ بى التعب أن أعجز عن اضفاء شيء من الحرارة على استقبالى لمن أحب ·

شيلا : أوه يا أيامون ، أريدك أن تكون جادا ليلة واحدة ·

أيامون : عال جدا ؛ عال جدا يا شيلا · (يبتعد عنها الى الجانب الآخر من النار) اذن فلنتدبر كيف يمكننا أن نشيع المسرة فى كل لحظة من لحظات نهار غد ·

شيلا : هذا ما سارعت من أجله الى هنا لأراك · ليس فى امكانى أن أصحبك غدا ·

(سكوت طويل)

أيامون : لماذا لا تستطيعين أن تصحبينى غدا ؟

شيلا : سيبدأ بنات القديس فريجيد الاعتكاف غدا للمتفرغ للصلاة على روح القديس وأمى تصر على أن أكون معهن ·

أيامون : وأنا أصر على أن تكونى معى · هل يهمك القديس فريجيد أكثر من الخاطىء أيامون ؟ أتفضلين الذهاب الى الاجتماع على الحضور لرؤيتى ؟

(سكتة) أصحيح يا شيلا ؛ أصحيح ؟

شيلا : (فى همس حائر) فليغفر لى الله • بل أفضل أن أجىء لرؤيتك •

أيامون : تعالى اذن وسيغفر الله لك بالتأكيد •

شيلا : لا أجرؤ • ستخاصمنى أمى الى الأبد لو تخلفت• قد أخبرتك كم هى تكره أن أقترب منك • انها تمطر سمعى ليل نهار بتحذيرات تحتها خطوط حمراء ورجاءات ذات حواش سوداء ، وعندما تقل هذه لانقطاع أنفاس أمى ؛ يبادر أبى الى ايقاظها من رقدتها ويرسلها متراقصة حولى وقد زادت قوة واكتست فى سرف بالسواد المميت والحمرة اللامعة •

أيامون : شيلا ، شيلا • يجب أن تكونى معى فى اليوم الوحيد فى الشهر الذى أنا خال فيه • لن أذهب الى اجتماع للعمال لكى أبقى معك •

شيلا : وهناك شىء آخر يا أيامون ••• التهديد بالاضراب• أوه ، لماذا تتدخل فى مثل هذا النوع من الأمور ؟

أيامون : أوه لا تهتمى بهذا الآن • لا تكونى كالطفلة الهلوعة المختبئة فى بقعة خالية وسط أدغال الشوك ••• تأمن الوخز اذا لم تتحرك ؛ ولكنها تعجز عن الوصول الى العشب الأخضر أو الطريق

المفتوح ما لم تجـازف بالدموع التى يسببها وخـز الشوك ٠

شيلا : أوه يا أيامون ٠ اذا كنت تحبني فلتحاول أن تكون جادا ٠

أيامون : (فى شيء من الحماسة) أوه يا شيلا : لما يحن بنا الوقت لاصطناع الجد على غرار من هم أكبر منا سـنا ٠ وانه لقريب يوم نقتات بأطراف الحكمة ، يوم تضـع أصبع الزمان نذر المشيب على وردة الشباب الحمراء ، فلا تجمدى بصلواتك الباردة هـذه الزفرات الحارة التى تفزع من مباهج الحب ٠

شيلا : (بحماسة) لن أصغى اليك يا أيامون ، لن أصغى يجب أن تتطلع الى الأمام على طريق المسـتقبل ٠ انك تسـلك بحياتك سـبلا شتى بدلا من أن تسلك الطريق الأوحد الذى ييسر لنا أن نعيش معا ٠

أيامون : اننا نعيش معا الآن، نعيش فى ضوء الأيكة التى تحترق ٠ وأحب أن أقول لك ان الحياة ليست شيئا واحدا بل أشياء كثيرة ، انها لهب عريض متشعب، جليل جميل ملمسـه ومنظره ، بيد انه لا يبهـر عين أى انسان يعيش فى وهجه ٠ أنا لست ممـن يحمـلون الخوف معهـم أينما ذهبوا كمـا يحمل القسيس خبـز القربان ، فليمش الخـوافون على أطراف أصابعهم فى طريق ذابل ؛ أما أنا فسوف

تقـودنى قدماى الى حيث تنمو الورود الحمـر ؛
ولو حفت بأشواك طويلة حادة نافذة .

شيلا : (تقوم من على الكرسى محتدة) لن أصـغى اليك
بعد هذا ، أنا ذاهبة . أتريد أن تجعلنى قبسا من
سراب زائف . أنا ذاهبة .

أيامون : ما أنا الا قبس من ملكوت الله يا فتاتى . قبس
ينير طريقا جديدا لحياة كحبب الكأس لا يبقى غير
لحظة فى عمر الزمن ، أو يلهب خيال شاعر فيصدح
بالغناء .

شيلا : ان مجيئى الى هنا هو بمثابة فرصة أخيرة لمناقشة
الأمور معك فى هدوء ولكنك لا تمكننى من هذا .
(يحوطهـا بذراعيه) أطلقنى . (بتوسل) أرجوك
يا أيامون أطلقنى .

أيامون : أعلمى ان الله يحب أن يرى المسرة تلتمع لحظة
فى وجوه عباده الذين بهظتهم الهموم .

شيلا : (بخشية) لا تدخل اسم الله فى مثل هذه الأمور
والا حل البلاء على كلينا . ثم ان حبك لى لا يدوم
الا ما دمت هنا . فاذا ما وليت انصرف فكرك الى
لوحات تصويرك المسكينة ، وايرلندتك المسكينة ،
وأغانيـك ؛ ونقابة عمالك ؛ وشـغلت عن التفـكير
فى شيلا .

أيامون : أنت جزء من كل هـذا ، تدورين فيه وتنفذين منه سعيدة رشيقة رائعة ، وردة جميلة حلوة حمراء ٠

(يجذبها اليه ويضمها بشدة ويرفعهـا الى حجره ويقبلها) شـــيلا يا حبيبتى ، أنت لا تســتطيعين التغاضى عن الفرحة التى تجعل من القمر ثمرة ذهبية فى شجرة خفية ٠ لاتستطيعين أن تصمى أذنيك عن الأنغام العذاب لذلك الجرس الفضى الذى لا يدق الا مرة ، ثم يسكت الى الأبد ٠

(يفتح الباب ويطل منه راس بريتان مور وهو راس اصلع شديد اللمعان ، والوجه كثير التجاعيد غير أن العينين براقتان نافذتان ٠ ذقنه البيضاء الطويلة تضفى عليه شبهـــا بعيدا بالقديس جيروم ٠ يرتدى ملابس وقورة ولكنها خلقة ، فوقها معطف مطر طويل بلله المطر ٠ وعلى راسه قبعـــة مستديرة حائلة اللون)

بريتان : أوه ٠٠٠ عجبا ٠٠٠ عجبا ٠٠٠ عجبا !!

(يدخل الحجرة فيبدو ظهـره منحنيـا ولو أن له مظهر القوة ٠ وفى حزام من الجلد حول جسمه يعلق أرغنا على ظهره ٠ (شيلا وأيامون ينفصلان) ٠

(يقوم هو ليقابل العجوز بينما تحملق هى مرتبكة فى النار) ٠

أيامون : ماذا تريد بحق الجحيم ؟

برينان : (غير آبه لسؤال أيامون ، يخلع قبعته ويلوح بها منحنيا) آه ياحمامتاى الجميلتان الثلجيتا الصدر من حمام دبلن . أخشى أن تذيع بعد لحظات رائحة الفرح الأكيد لزوجين عاشقين . وانى لأسأل ما اسم هذه العزيزة اذا لم يكن فى ذلك اجتراء على الغير الذين تربطهم صداقة أوثق . ولو أن الحق انه من العدالة والروعة بمكان أن أسعد بدس أنفى فى حجرة هذه السيدة المعبودة من خلال النافذة التى فتحت على استحياء .

شيلا : (خجلة) اسمى شيلا .

برينان : شيلا ؟ وانك لحقا شيلا . نعم وهو اسم مناسب أيضا لأن بين مقطيعه رقة ولرجعه الفضى صدى يرسمان بأبهى صورة ، تلك الفتاة الجميلة المشوقة التى تراها عينا شيخوختى الآن .

أيامون : (يذهب اليه ويمسك بذراعه ليخرجه) لا أستطيع أن أفرغ لك الآن أيها الصديق القديم لأن كلينا غارق فى سؤال لابد من الاجابة عنه قبل أن نكبر يوما آخر .

برينان : أعلم هذا بالتأكيد . أو ليس طبيعيا أن يكون لدى الشباب أسئلة تلقى واجابات تعطى حول

المشـــاكل الندية التى تعترض طريق أقدامهـــم الراقصة ؟

أيامون : (وقد ضاق صدره) عد مرة أخرى يا صـديقى القديم بعد أن يقف بنا الزمن ساعة تستريحها ٠

بريئان : اعلما أننى لست ثقيل الظـل الى حد أن أراوغ شوقكما الى الغوص فى أعماق النتيجة الصـامتة لنظر كل منكما آلى صاحبه دون ممانعة أو حائـل (يمشى نحو شيلا وهو يجذب أيامون وراءه) من السهل ياسيدتى الحلوة أن أرى أنك محيطة بـكل ما يعلمه رجلك الشاب وأنك لست جاهلة بشىء ، ولذايحق لى أن أكلمك رجلا لسيدة ، وأطلب اليك أن تخبرينى ــ بينى وبينـك ــ مارأيك فى بنـك أيرلندا ؟

أيامون : أوه ٠ أرجوك أيها الرجل العجوز ، شيلا لاتعرف شيئا عن بنك ايرلندا أنها لاتعبأ قط بالمال ولا بما يمكن أن يشتريه المال ٠

بريئان : (يحملق فى أيامون لحظة كما لو كان قد تلقى صفعة) اه ؟ ماهذا الكلام الفارغ يارجل ؟ من ذا الذى لا يفكرفيما يمكن أن يشتريه المال ٠

(يذهب الى الباب وهو يحجل على اطراف اصابعه فيفتحه ويطل للخارج ثم يقفله مرة

اخرى بهدوء . ثم يعود على أطراف أصابعه نحو شيلا فينحنى امامها ويداه على ركبتيه ويهمس بصوت مبحوح)

أنى أفكر قليلا فى أمر الســندات والحصص التى يصدرها بنك ايرلندا بفائدة أربعة فى المائة ... مجــرد ما يكفى لوقاية فقــير من المرض ... اه ؟ (لأيامون) والآن دع السيدة الجميلة تقل رأيها الخاص (يدير رأسه مرة أخرى نحو شيلا) انهــا آمنة هناك كما لو كان القديس بطرس نفسه يحفظ مفتاح المكان الذى تودع فيه السندات ، اه ؟

شيلا : أنا واثقة من أن هذا صحيح يا سيدى .

برينان : (بتأكيد ضاحكا) ن ... ن ... هم نعم . ألست الشابة العاقلة ؟

أؤكد لك أننى كنت أعــلم أنك ستقولين هذا دون خوف أو تحيز (يلتفت ناحية أيامون) ماذا تقول ؟ انك الآن رجل يحسن الحكم على الأمور .

ايامون : أوه ان الدولة لابد أن تنهار قبل أن يضيع عليك درهم .

برينان : (طربا) اخبط ! اخبط بأقصى قوة !

ايامون : اخبط !

برينان : اخبط ! (لشيلا) أسمعت هـذا ، ومن رجل صاعد فى مدارج العـلم ؟ نعم نعـم جدران من الحجر ، وأبواب من الصلب ، ومفـاتيح وأقفـال مزاليج وقضبان ، وراء هـذا كله تودع السندات دافئة براقة محفوظة من البلل فى مكان أمين ·

شيلا : فى مكان أمين ·

برينان : (طربا) نعم نعم · ولن يتسرب شيء منها الى صندوق الاحسان (يبتسم) أولا يستشيط البابا غضبا لو علم بمقدار ما يضيع عليه ! آمنة مطمئنة · (لايامون) أنت تعتقد هذا أيضا ··· اه ؟

أيامون : نعم نعم ·

برينان : (برزانة) نعم بالطبع · (لشـيلا مشيرا الى أيامون) سلالة طيبة يا سيدتى الجميلة الرقيقة ، نربى على أن يرى الأمور على وجهها الصحيح ·

أيامون : (يمسك بذراعه وقد نفد صبره) والآن ياصديقى القديم يجب أن نحملك على الانصراف ·

برينان : اه ؟

أيامون : الانصراف · لدى شيلا ولدى ما نريد أن نتحدث فيه ·

برينان : (فجأة) وماذا عن الأغنية اذن ؟

ايامون : أغنية ؟

بريننان : الأغنية التى أعـدت للحفلة • أليست هى التى جئت من أجلها ؟ أخيرا وبعد جهد جهيد استطعت أنا وسـامى أن ندون اللحن بالمفاتيـح الصحيحة والعلامات والأقواس على الوجه الذى يستطيع به أى انسان أن يغنيه فى أى وقت • ان سامى بالطابق الأسفل فى ردائه الزاهى الذى أعـده للحفـل ينتظر استدعاءه الى هنا ليسـمعكم الأغنية كمـا يستطيع سامى وحده أن يغنيها •

أيامون : استدعه ، استدعه •• بحق الجحيم لماذا لم تخبرنى بكل هذا من قبل ؟

بريننان : (ثائرا) ألم أكن أحاول هذا طول الوقت وأنت تمنع أى انسان من أن ينطق بكلمة معك • (يشير الى شيلا) سيمتنع عن الغناء أمامها • (يهمس بصوت مبحوح لشيلا) انه خجول كطفل يلبس سراويله لأول مرة ياسيدتى العزيزة •

أيامون : (يدفعه بشـدة خارج الحجرة) أوه ، اذهب ، اذهب يارجل وأحضره • (يخرج بريننان)

شيلا : (جادة) انتظر حتى أخرج يا أيامون • لا أستطيع البقاء طويلا وأريد أن أحادثك فى الكثير •

أيامون : (بشىء من الانفعـال) أوه ، يجب أن تسـمعى الأغنية ياشيلا • لقد ظلا يعملان أسبوعا فى اعداد اللحن ، ولن يستغرق الأمر دقيقة •

شيلا : (غاضبة) ما أطول ما انتظرت حتى الآن ! الست أكثر اهتماما بما أريد أن أقول من أن تصغى الى تافه أحمق يغنى أغنية ؟

أيامون : (مأخوذا بعض الشىء) آوه ياشيلا ، ماذا بـــك الليلة ؟ ان النجار الشاب الذى سيغنيها ، وهو أبعد ما يكون عن التفاهة ، خجول كفأرة الحقل ، وسوف ترين عندما يبدأ الغناء أنه يشيح بوجهه عنا • أنت تريدين سماعها ياشيلا ، أليس كذلك ؟

شيلا : (بتوسل) فلتنتظر الأغنية يا أيامون ، أســـتطيع الحضور لسماعها فى فرصة أخرى • أريد أن أقول لك شيئا هاما جدا عن لقاءاتنا فى المستقبل •

أيامون : (فى لهفة) عال جدا • اذن فسأخرجهما على عجل فور انتهاء الأغنية • ها هما قد جاءا فاجلسى ، اجلسى دقيقة واحدة أخرى •

(ولكنها تذهب الى الباب وتصل اليه فى اللحظة التى يعود فيها بريتان وهو يدفع امامه شابا فى الثالثة والعشرين ، خجولا متمنعا فى الدخول • وهو طويل القامة ولكن وجهه شاحب يشبه القناع فى تعبيره عن الاستسلام للدنيا ولكل ماحوله • وحتى عندما يبدو خجلا فان ملامحه القناعية لاتتغير • يلبس سترة بيضاء تشبه رداء السهرة ذا الذيل ، وصدرية

سوداء فوق قميص متسخ جدا ، وسراويل خضراء مكشكشة • في يده مخطوطة موسيقية • برينان ينزل ارغنه من على ظهره ويدفع المغنى الشاب الى الأمام معترضا شيلا التى كانت تتحرك نحو الباب فيدفعها الى الداخل بحركة من ظهره ويدفع أيامون من كتفه الى طرف الحجرة المقابل) •

برينان : (وهو يدفع شيلا) اخلوا الطريق هناك • سيطروا على لهفتكم لحظة ، أهذا ممكن ؟ كل شيء سيجيء فى وقته • اعطوا الرجل فرصة للاطمئنان • (وهو يدفع أيامون) ابتعد الى الوراء ، هناك ، ابتعد الى الوراء • أعط الممثل فرصة السيطرة على نفسه • أليس هائلا، ماذا ؟ سترتدى مجموعة الوسط نفس اللباس على حين يلبس الرجـــال الذين فى الطرف الألوان العكسية •• سترات خضراء وسراويل ســـوداء وصدريات بيضاء ؛ مفهوم ؟ ســـيبدو الجمع كله رائعا • سيعيرنا بنيامين كل مجموعـة الاثنى عشر ملبسا نظير خمسة شلنات اعتبارا للسبب الذى نقيم الحفلة من أجله • (الى شيلا فى همس مبحوح) انظرى نحو النار وكأنه ليس هنا • انه مسرف فى الخجل يغرق فى الارتباك من نظرة • أتفهميننى ؟

(تجلس متباطئة مقطبة وتنظر فى النار • يفتح الباب ويدخل رورى او بالاكون وتحت ابطه لفة صغيرة من المجلات الايرلندية ، وهو رجل

نصفة قوى يلبس سترة خشنة من الصوف
المغزول يدويا وكابا وسراويل قصبرة وفوقها
معطف)

روری : اليك ياأيامون ياولدى ، هاك المجلات الايرلندية
التي جعلت صديقي يحصل لك عليهـا · (ينظر الى
المغنى) هالو ، أى نوع من السيرك يدار هنا ؟

أيامون : مستر بريتان مور ينظم المغنين هنا للحفلة التي
ستقام للحصـــول على المال فى حالة اضطرارنا
للاضراب ياروری ·

روری : أنا نفسي واحد من العمال ولكنى لاأوافق على اقامة
حفلة أجنبية بينما سيوف التحرير مشرعة فى ارضنا·
نحن لسنا بحاجة الى ألاعيب الكفر والشــــعوذة
فى بلادنا ·

بريتان : (غاضبا) لا يهمنا ماكنت تراه قبل حضـــورك
فلتجلس الآن · حاول أن تعتبر نفسك عضوا متحضرا
من أعضاء مجتمعنا يا رجل والزم الهدوء (للمغنى)
والآن ياسام يا ولدى الغالى انزع الخجل عن نفسك
وغن كما لو كنت تؤدى دورك فى حفل ملكى رسمى ·

روری : (مزمجرا) لا نرى حفلات ملكية رسمية هنا ·

بريتان : (بحركة غيظ واشمئزاز) يا رجل ألا تكف بالله
عن اطفاء حماس المغنى ؟ لقد اســتعملت هذا التعبير
« يارجل » مجازا ·

روزى : رجل مجازا أو امرأة مجازا ، لن تكون هنـــاك تهجمات ملكية مادامت سيوف التحرير مشرعة •

أيامون : أوه ، بحق المسيح ياروزى دعنا نسمع الأغنية •

بريننان : (للمغنى الذى ظل يســـعل خجلا ويدير جانبه للحاضرين) والآن ياسام تذكر أنك لست فى ثياب العمل وأنك رجل مختلف تمام الاختـــلاف • ارفع رأسك وأبرز صدرك (يوقع بعض الأنغام على الأرغن) هيا •

المغنى : (يغنى)

شال وقوريلف جسدها كله
مسته الشمس ورذاذ البحر المالح •
ولكن تحته فى الظلام يداً رقيقة بارعة الجمال
تحمل الى باقة فاخرة من الورود الحمراء •

(يدير جنبه أكثر للحاضرين ويسعل خجلا)

بريننان : (بحماسة) سام انك تتفوق على نفســـك • استمر يا ولدى •

المغنى : (يغنى)

رداؤها بسيط ، وقدماها عاريتان
وكل ما فيها أنيق رقيق

ولكن نجوما فى أغوار عينيها تهتف بى :

انى أحمل اليك باقة فاخرة من الورود الحمراء .

برينان : (بعد ادارة بعض الأنغام على الأرغن) الكونت ما كورمك الثانى فى طريقه للظهـــور ! وكلما غنى « أمى العزيزة » اضطـربت السمــاوات بالمتزاحمين الذين يطلون عليه ليسمعوه وهو يغنيها !!

(أثناء حديث برينان يفتح الباب ويبدو مالكانى واقفا يحملق فى الحجرة ، وهو شاب قوى البنية دائب الحركة يلبس سراويل خفيفة من التويد لاتناسبه تماما ويضع على راســه بخلاعة كابا من التويد كمــا يرتدى معطف مطر)

مالكانى : أقلبتم هذا البيت ملهى صاخبا أم ماذا ؟

برينان : (يفرقع بلسانه مغتاظا) تش تش تش !!

مالكانى : وهل سمعت أحدا يهذر بشىء عن الســماوات وقت دخولى ؟ (الى برينان وهو يربت على كتفه) أما سمعت أيها العجوز أن المسيح قد مات ؟

برينان : حسن ، احتفظ بهذا الاكتشاف العظيم لنفسك دقيقة أو دقيقتين ، أرجوك (للمغنى) والآن ياسام، مع اعتذارى عن فظاظة الغير ، اسمعنا المقطع الأخير من فضلك .

المغنى : (يغنى) :

مامن جوهرة متعالية تتربع على عرش جبينها
أو تتدلى من أذنها البيضاء ليراها الناظرون .
ولكن رغبة مرصعة فى صدر أغلى من الدر
تحمل الى باقة فاخرة من الورود الحمراء .

بريتان : (بعد بضعة أنغام على الأرغن) والآن أيتها الآنسه الجميلة ، وأنتم أيها الســـادة جميعا ، مارأيكم فى الأغنية وفى المغنى ؟

ايامون : كانت الأغنية جميلة ، والمغنى رائعا .

مالكانى : الجزء الذى سمعته منها لا بأس به .

المغنى : (فى خجل) بسعدنى أننى أعجبكم جميعا .

رورى : (متشككا) ألا تعتقدون أن الأغنية فيها شىء من الاباحية ؟

مالكانى : (ساخرا) اباحية !! وما هى مواصفات الاباحية فى نظر فضيلتكم ؟

(بغضب) هل انتظمت أنت أيضــا فى سلك جماعة الشبان الكاثوليك الذين يمشون فى الأرض بأنوف طويلة كمنقار الهدهد ، يعرون أحلى وردة من أوراقها بحثا عن خنفساء ، ويتشممون العفن فى أعذب نسمات تهب من البحر ؟

بريتان : (محذرا) نحن فى حضرة سيدة ، فى حضرة سيدة ياأولاد !!

روری : ان مما يليق بالايرلندى الأصـــيل أن يظل ثابت الجنان حين يرى فى الأغنية أو القصة ميلا الى اضفاء شيء من البهجة على سوداوية مزاج صبوات العقول الجامدة ٠

بريتان : (بصوت أعلى) نحن فى حضرة سيدة ياأولاد !!

شيلا : (تنهض من الكرسي وتذهب نحو الباب) ان السيدة خارجة الآن ٠ شـــكرا لكم جميعا على مسامرتكم ٠ (لأيامون) لن أبقى بعد الآن لكيلا أعوق مجادلات أصدقائك الهامة ٠

أيامون : (ذاهبا اليها) لا تكونى مجنونة ياعزيزتى شيلا٠ ولكن اذا كان لا بد لك من أن تذهبى فلتذهبى ٠ سنلتقى مرة أخرى مساء غد ٠

شيلا : (بتأكيد) لا ، لا غدا ولا بعد غد أيضا ٠

أيامون : (على حين يعزف بريتان لحنـــا رقيقا على الأرغن ليغطى على الحرج) ٠٠ متى اذن ؟

شيلا : لا أستطيع أن أقول ٠ سأكتب اليك ٠ يجوز ألا ترانى أبدا ٠ لقد أنذرتك أن هذه الليلة قد تكون آخر فرصة للحديث لفترة ما ، ولكنك لم تحاول انتهازها !!

أيامون : (يمسك ذراعها) لقد انتهزتها بمقدار ما سمحت لى · ليلة غد ، فى المكان المعهود قرب الجسر ، جسر الرؤية ، حيث شاهدنا لأول مرة فى السماء آنجوس ومعه سربه من طيور الهوى الملونة ·

شيلا : (بعنف) لاأستطيع ، لا أريد ، اليك عنى ·· أوه دعنى أذهب ·

(تنفلت منه وتجرى الى الخارج ويسود الحجرة الصمت بضع لحظات)

روري : (يقطع الصمت) النساء مخلوقات عجيبة ! حيوانات أنيقة لا تعرف ذاتها قط ·

بريتان : (ملطفا) سوف تعود · سوف تعود ·

أيامون : (محاولا التظاهر بعدم الاكتراث) أوه ! فلتذهب الى جهنم ·

المغنى : (بصوت خافت) هل أستطيع الانصراف الآن ؟ ·

بريتان : انتظر ؛ سأكون معك بعد لحظة ·

مالكانى : (لأيامون) لقد جئت لأقول لك يا أيامون اننى سأحضر غدا كتاب هايكل « لغز الكون » بعد بحث طويل ، وسأسلمه اليك فى اللحظة التى يقع فيها فى يدى ·

(يفتح الباب فجاة فتندفع ايدا تتبعها ديمينا وفينولا واخريات خلفهن بعض الرجال فى

حالة هياج شديد . تتقدم ورفيقتاها وراءها بقليل على حين يتجمع الباقون عند الباب) .

ايدا : (صارخة) لقد ذهبت وتركتنا في وحشة ؛ اختفت كضبابة مسحورة في بكور يوم صيف . سرقتها يد بروتستانتي كافر يغار من الحب الذى كنا نكنه للسيدة العذراء .

الجميع : ضاع تمثال سيدتنا العذراء !!

صوت منفرد : والله أعلم أى بلاء سيحل على بيتنا المسكين الآن .

بريتان : ويا له من عمل .. (بانفعال) أتخادعون أنفسكم بأصنام لها عيون لا ترى ؛ وآذان لا تسمع ، وأيد لا تبطش . كالشعب المختار يقيم تصاوير الشمس والقمر ويقطع الصلة الحقة الحميمة ما بين المسيحى وربه ؟ هيا ، أفسحوا الطريق لى ولصديقى المغنى لنغادر هذا المكان المدنس .

(يشق طريقه بينهم يتبعه المغنى ويخرج)

ايدا : (تومىء برأسها لأيامون) جعجعة كبيرة ولكن بلا طحن !! نحن نعرفه من قديم ؛ جعجاع طيب عجوز . نعم بالتأكيد . كثيرا ما يشترى البنفسج بل والنرجس لأورسولا الصغيرة التى تسكن فى الطابق الأسفل ويوصيها بألا تضعه أمام صورة منحوتة ؛ وهو يعلم تمام العلم أن هذا هو أول شىء

ستسرع الى البيت لتفعله . وهـا هي الآن تحت ؛ ينفطر قلبها الصغير حزنا على سيدتها التى اختفت (باشتباه) اذا كان لبريتان العجوز يد فى اختفائها فالويل له .

مالكانى : (ساخرا) ألا تستطيعون جميعا أن تفعلوا شيئا خيرا من تضييع وقتكم فى صنع آلهة على مثال خيالكم السقيم ؟

أيامون : (وهو يشير اليه ليسكت) كفى يا بودرج . (لايدا)قولى لأورسولا الصغيرة ألا تحزن .. ستعود سيدتها . اذا لم يعد تمثال سيدتنا العذراء هـذه الليلة فسأهجر النوم بعد عملى الليلى لأبحث عنها وأردها آمنة الى مكانها فى حائط البهو. لم تمسسها يد انسان فى هذا البيت ..

ايدا : وسوف ترى أنها ستجزيك على عطفك يا أيامون.. (تنظر الى مالكانى) .. ولو انه لن يدهشنى اذا كانت قد غادرت مكانها مختارة وهربت منا ، غاضبة من الكلام المريع الذى أتيح له مؤخرا أن يتردد فى جنبات هذا البيت .

مالكانى : (ساخرا) خافت منى . طيب يا أيامون ؛ على أن أعد بعض الدروس ولذا سأنصرف . سأحضر لك الكتاب غدا (للمجموعة ساخرا) أرجو أن يعود التمثال المسكين الى بيته مرة أخرى .

(يخرج مجتازا الجمع الغاضب)

أيامون : (لايدا) لا تهتمى بمالكانى . ليلة سعيدة . ولا تقلقى على تمثالك العزيز . اذا لم تعد فسنجد أخرى لا تقل عنها جمالا وروعة لنضعها مكانها .

ايدا : (تزمجر) هذا الانسان الذى خرج سيلقى مصيرا سيئا ؛ انه يسخر من أشياء نقدسها بمشاعرنا .

(يخرج الجميع تاركين ايامون وروری . يخلع ايامون صدريته ويطبقها ويعيدها الى السلة. يذهب الى الحجرة الأخرى ويعود ومعه جاكت من الجلد وتوزلك . يلبس التوزلك فوق البنطلون)

أيامون : (وهو يلبس التوزلك) ستكون حظيرة التخزين مكانا جميلا الليلة .. أتسمع هذا ؟

(ينصت الى المطر المتساقط وقد اشتد)

روری : انه ينهمر . هذا المالكونى يوشك أن يلقى البلاء .

أيامون : لا . انه انسان طيب . تخلى عن عمله فى سبيل عقيدته .. وهذا ما قد يفعله كثيرون غيره .

روری : ومم يعيش الآن ؟

أيامون : يدق العلم فى رءوس بعض الضالين الذين يريدون أن يصبحوا موظفين فى الحكومة أو كتبة

في البنوك أو شرطيين يعملون نأ يبلغوا الآخرةوهم في رتبة « رقيب » في الشرطة الملكية الايرلندية أو شرطة العاصمة ·

روري : والله ان عمله مناسب له تماما ·

(يفتح الباب مرة اخرى وتبرز منه راس ايدا)

ايدا : أرسلت أمك منذ لحظة تقول ان المرأة التي ترعاها في حالة سيئة وانها ستضطر الى قضاء الليل بجانبها · وسأسرع بنفسي لأعد لأمك فنجانا من الشاى ·

أيامون : (متضايقا) دتش دتش ·· ستقضي على نفسها قبل الأوان ، عندما أقفل البيت سأترك المفتاح لها عندك يا ايدا ·

(يشعل فانوس مناورة ويطفىء المصباح)

ايدا : وهو كذلك ·

(تخرج)

روري : أي غلام هذا الذي رسم الملاك على الحائط ؟

أيامون : أوه ؛ أنا الذي فعلت هذا · انى أبذل أي شيء في سبيل أن أكون مصورا ·

روري : ماذا ؛ مثل برينان مور العجوز ؟

أيامون : لا ، لا · مثل انجليكو وكونستابل ·

روري : (بدون اكتراث) لم أسمع بهما قط ·

أيامون : (مفكرا) ما أبدع أن تلقى على اللوحة بعالم كامل من الألوان ولو لم يكن الا وجهـا جميلا لرجل ؛ أو طيفا لامرأة تخطر من مخدع مرصوص بالوسائد ، أو بيتا ذا ثلاثة أبعاد قائما على ربوة ؛ تبدو فيـه الفخامة · ان عين الله الساهرة على صنع عالم جديد لتقف لحظة تتطلع الى جمال هذه الصور ·

روري : أوه ، أيامون ؛ أيامون · امدد يدك يا رجل وانظر هل أنت يقظان !!

(يقلب في الكتب التي على المنضدة) أى كتاب قديم تقرؤه الآن ؟

أيامون : (وقد لبس الجاكت والتوزلك الجلد وغطاء رأس من الجـلد يمشى ليرى الـكتاب الذى في يد روري ويسلط عليه ضـوء الفانوس) هـذا كتاب « تاج الزيتون البرى » لراسكين ··· كتاب عظيم ··· سأعيرك اياه ·

روري : لماذا ؟ ماذا أصـنع به ؟ ليس عنـدى من الوقت ما أضيعه في الكتب · راسكين اسم غريب · ليس ايرلنديا على ما أظن ·

أيامون : لا ؛ أنه اسكتلندى كتب بابداع عن أمور كثيرة · اسـمع ·· هـذا ما قاله في اجتماع لبعض رجـال الأعمـال الذين كـانوا يزمعون بنـاء بورصـة في مدينتهم ·

روری : أوه يا أيامون ·· بورصة !! وما الذى نفعله نحن ببورصة ؟

أيامون : (بصبر نافد) اصغ الى لحظة يا رجــل · قال راسكين وهو يخطب فى رجال الأعمال : « ان مثلكم الأعلى فى الحياة هو تحقيق عالم بهيج مستقر ينتشر الفحم والحديد فى كل مكان تحته · وعلى كل شاطىء بهيج فى هذا العالم يقوم قصر جميل وحظائر خيل وعربات ، وحديقة وحمامات وطرق وغابات · وهنا يعيش أولئك الذين نذروا أنفسهم لآلهة التقدم ·· السيد الانجليزى ·· »

روری : (مقاطعا) ها أنت يا أيامون ·· أترى ·· السيد « الانجليزى » ·

أيامون : انتظــر لحظــة ·· السيد ــ ايرلنــديا كان أو انجليزيا ــ سواء ·

روری : ليسا سواء · اعلم أنهما مختلفان · ماذا فى راسكينك هذا غير مخــادع آخر عجــوز قدير فى الثرثرة ؟ ان الانجليز يكفيهم تماما أن ينقبوا وراء الأشــياء الضئيلة ؛ وأن يقضوا حياتهم ينبشــون التراب طمعا فى لامع الذهب · أما نحن فغير هذا·· لدينا النور ·

أيامون : أتعنى العقيدة الكاثوليكية ؟

روری : (بضيق) لا ، لا · هــذه موجودة أيضا · وانما

أعنى نور الحرية ؛ الشمعة الطويلة المنتهية فى طرفها بحربة اللهب الذهبية . النور الذى ظننا أننا افتقدناه ؛ ولكنه عاد للاشتعال واشتد حتى صار سيفا من النور ، كما جاء فى الأغنية التى غنيناها معا ليلة الأمس .

(يغنى برقة) :

ان شجاعتنا التى ظن الكثيرون انها خارت
تبرق الآن كالنجم الجديد الذى يتلألأ فى السماء .
والخطر فخور بأن يسمى أخا حميما
لأن الحرية قد تمنطقت بسيفها .

أيامون : (يغنى معه) .

واذن فهيا الى حيث يشتد أوار المعركة .
حيث يستميت الشرفاء والمنحطون فى القتال فى حلبتها .
وتسخر جنود الجمهوريين من جنود الأعداء .
ويحول جنود التحرير الليل البهيم الى نهار .

(وقفة . حيث يصمت كلاهما وهو ممسك بيد صاحبه . يفتح ايامون الباب للخروج)

روزى : (فى همس حاد) ان الفينيين قد عادوا الى حمل السلاح يا أيامون ؛ وقد التمع سيف النور .

(يخرجان . ويقفل ايامون الباب اثناء نزول الستار)

الفصل الثانى

(نفس المنظر فى الفصل الأول .

الساعة حوالى العاشرة مساء . توقف المطر .. وظهر القمر جميلا فى السماء وبعض أشعته تنفذ من الشباك الجانبى .

أيامون فى قميصه جالس الى المنضدة وبيده حصالة نقود عادية من الصفيح ؛ وعلى المنضدة بجواره كومة صغيرة من العملة النحاسية بينها قليل من قطع الستة البنسات . انتهى من فوره من اخراج آخر قطعة نقدية من فتحة الحصالة مستعينا بسكين . أمه بجانب الدولاب تضع أدوات المائدة القليلة التى استخدمت منذ قليل . اللمبة ذات الشريط مشعلة وموضوعة على المنضدة بجوار ايامون وهناك بضعة كتب مفتوحة كذلك) .

ايامون : ها هى آخر واحدة . آن اخراجها بالسكين عمل شاق حقا .

مسز برايدون : لماذا لا تضعها فى صندوق ذى غطاء عادى ؟

ايامون : كلما صعب الوصول اليها قلت فرصة صرفها فى شأن أقل ضرورة مما هو أمامى الآن .

(يعد النقود على المنضدة) شلن .. اثنان .. ثلاثة .. وستة بنسات وتسعة .. ثلاثة وتسعة بنسات . لابد من الحصول على شلن وثلاثة بنسات أخرى .. فرق كبير .

مسز برايدون : لعل بائع الكتب يعطيه لك ويأخذ ما عندك الآن ريثما تدبر له الباقى .

ايامون : (فى ألم) أوه يا امرأة . اذا لم تستطيعى أن تقولى شيئا معقولا فلا تقولى شيئا قط . ان مجموعة صور لوحات كونستابل تباع مستعملة بخمسة شلنات ؛ والبائع هو نفس ابن الحرام الذى أوشك أن يدخلنى السجن لأننى هربت بكتابه «شيكسبير» . المسألة هى ادفع وخذ اذا ما سمح لى بأخذه نظير الخمسة شلنات .

مسز برايدون : (بفلسفة)حسن . ما دمت قد استغنيت عنه حتى الآن ؛ فبوسعك أن تستغنى عنه فترة أخرى .

ايامون : (بيقين) سأحصل عليه فى أول أسبوع نمنح فيه علاوة الشلن التى يطالب بها العمال .

مسز برايدون : لا تعد الكتاكيت قبل أن تفقس .

ايامون : (مازحا فى شىء من المرارة) لعل قديستنا المباركة تصنع معجزة من أجلى .

مسز برايلون : (فى شىء من القلق) اخرس . لا تقل هذا . انا لا أستطيع أن أقول هذا يا ايامون هازلة أو جادة . نحن لا نعتقد فى أى من السيدات المباركات ولكن ما دمن شيئا مقدسا فمن الخير ألا يذكرن ..

(تلبس شالها) ولو أن اختفاءها من مكانها دون أن يعلم السبب أى فرد فى البيت أمر عجيب . ما زالوا جميعا يقتفون أثرها .

(يفتح الباب ويدخل برينان على مهل وعلى وجهه ابتسامة واضحة يتأبط لفة كبيرة مغطاة بالورق) .

برينان : مازالوا جميعا يقتفون أثرها ، أهذا صحيح ؟ حسن .. فليبحثوا . انها هنا سجينة تحت ابطى .

مسز برايلون : (غاضبة) يا مسز برينان مور ، من المخجل أن ترهق هؤلاء المساكين بالهم والقلق على كنزهم وأن تترك أورسولا الصغيرة يتفطر قلبها فى المعمعة .

أيامون : انه لعمل حقير تستحق عليه لعنة الله يا برينان . أى خير تظن أنك تجنيه من هذا الاعتزاز المعربد

بأفكارك الخاصة .. من اقحام البلبلة على عقول أناس جهلة متفزعين ؟ .

برينان : (بهدوء) أصبر حتى نرى . أصبر حتى نرى قبل أن تندم على التمادى فيما تقول (ينزع الورق فيظهر التمثال المفقود وقد بدا وكأنه جاء من فوره من المتجر : النوب الأبيض فى غاية النظافة ؛ والروب الأزرق زاه ؛ والذهب الذى على حواشيه وعلى التاج يلمع . يرفعه لهم ليتأملوه باعجاب . وهو مزهو) ها هى .. ما رأيكم فيها الآن ؟ أليست جميلة كأول شعاع رائع فى الفجر ؛ متلألئة كنجمة المساء ؟

مسز برايدون : تبارك الخلاق ؛ ما أروعها . ولكن أسرع بالخروج بها يا برينان فانها ليست مما يصح أن تعجب به عين بروتستانتى .

ايامون : (فى شىء من المشاركة) أعدها يابرينان؛أعدها ولا تمسسها مرة أخرى .

برينان : أو ليس هذا ما سأفعله ؟ أوه يا ولداه . ستكون مفاجأة العمر بالنسبة لهم عند ما يرونها مشرقة فى مكانها القديم (يتحدث جادا) ولكن ثق أن ضميرى يؤنبنى على تزيين ما يعتبر فتنة لشعب يهوذا فى عبادة الأصنام . ولكن فلتشهدا كلاكما أننى فعلت هذا اكراما للفتاة الصغيرة ، لا تكريما لصنم من أى وجه من الوجوه .

مسز برايدون : (مستسلمة) لقد حدث ما حدث . فليغفر الله لكلينا . وليغفر لى أن قلت « ما أروعها » فقد لمست شيئا محظورا وأفلتت منى حركة استحسان مذعورة .

ايامون : أعدها ، أعدها يا رجل واتركها هادئة حيث أخذتها .

(يخرج بريتان وهو يترقب ويتسمع قبل أن يفعل ذلك) .

مسز برايدون : كان حسن النية ؛ هذا المسكين ولكنه أتى أمرا خطرا . سأعود قبل أن تبدأ عملك . (تتنهد بعمق) لن تستغرق وقفتنا الأخيرة عليها وقتا طويلا . وقد جاءت الأغطية البيضاء ؛ الشموع الطويلة تنتظر الاشعال ؛ والصندوق يجرى اعداده ؛ وستسود القداسة الحجرة عندما توضع طاقة البنفسج قرب رأسها . (تخرج متمهلة) الله يعلم ماذا سيجرى للأطفال الثلاثة .

(يجلس ايامون صامتا بضع لحظات وهو يقرأ كتابا ومرفقاه على المنضدة) .

ايامون : (يدمدم مع تنهد عميق) شيلا ، شيلا . ان قلبى يبكى من أجلك .

(بعد سكوت لحظة يقرأ) :

بيد أن لى كبد حمامة وتنقصنى المرارة
التى تجعل الظلم مرا • أو أننى قبل هذا
كان يجب أن أطعم كل صقور الفلاة
من جيفة هذا العبد : الدنس الفاجر الغادر
أوه يا ويل ، كنت صبيا ، ولكنك مع هذا كنت
صبيا شجاعا وجميلا !!

(يفتح الباب ويدخل برينان وعلى وجهه مسحة من الابتسام تدل عن الرضى • يتجول فى الحجرة حتى يقف الى جانب المدفئة)

برينان : (مبتسما) انها الآن فى مكانها القديم فى ثوب تتويجها الجديد • ومن المضحك أن هذا آخر مكان يمكن أن يبحثوا فيه عنها •

ايامون : أنا مشغول الآن •

برينان : (يجلس بجوار المدفأة) نعم هكذا أنت ، وهكذا أراك • مشغول بالقراءة • اقرأ ما شئت فلن أزعجك • كل ما فى الأمر أننى سأجتر بعض الأنفاس من غليونى العتيق (سكوت) كنت أتمنى ان أكون من الشباب بحيث أستطيع أن أغرق نفسى فى متعة قراءة كل الكتب العظيمة فى العالم • آه •• ولكننى حين كنت شابا كان على أن أقوم بأشق الأعمال •

ايامون : أنا أيضا أقوم بأشق الأعمال ٠

برينان : بالطبع ٠ أو ليس هذا ما أقوله ؟ وتستحق كل التقدير أيضـــا ؛ مع أنه لا بد أن يكون من دواعى ارهاقك أن يدخل عليك ذوو العقول الفارغة فيعوقوا حركة أفكارك الذهبية ٠

ايامون : غالبا ما يكون هذا ازعاجا لعينا ٠

برينان : طبعا ٠ أليس هذا ما أقوله ؟ (عندما يفتح الباب) وهذا غبى آخر قادم ٠

(يدخل رورى ويغلق الباب فى ضجة كبيرة) أوه ؛ برفق يا هـــذا ٠٠٠ ألا ترى أن أيامون مشـغول بالقراءة ؟

رورى : (يدخـــل ويميل على أيامون) أما زلت تســـمح لراسكين بأن يشاكسك ؟

أيامون : (غاضـــبا) لا ، لا ٠ بل شيكسبير ، شيكسبير هـــذه المرة (يقفز من كرسيه) ما ألعن هـــذا ، ألا تتركون الانســـان فى حاله لحظة ؟ بحق جهنم ماذا تريد الآن ؟

برينان : (محذرا)قلت لك انه مشغول ٠

رورى : (معتذرا) أوه ، انما جئت بالتذاكر التى طلبت منى احضارها لك الحفلة الذكرى الوطنية لتيرنس بليو ماكمانوس ٠

ايامون : حسن ، حسن ٠ اعطنى اياها ٠

رورى : كم واحدة تريد ؟ كم واحدة تستطيع بيعها ؟

ايامون : أعطنى اثنتى عشرة من ذات الستة بنسات ٠ اذا لم يحدث الاضراب فسأبيع هذا القدر بسهولة ٠

رورى : (يعد التذاكر فيجمعها ايامون ويضعها فى جيبه) قابلت ذلك الملكانى فى الطريق ومعه كتاب لك ؛ ولكنه وقف ليقول لاثنين من عمال السكة الحديد ان حكاية آدم وحواء مزيفة برمتها ٠

برينان : (بغضب) لقد أثار حنق الكثيرين هنا بما يذيعه من اعتقاده أن خلقة يد الانسان لا تكاد تختلف عن مخلب القرد أو حافر الحصان أو زعنفة الحوت أو جناح الوطواط !!

أيامون : نعم ؛ ان كل واحدة منها عجيبة كيد الانسان ٠

رورى : لا ياايامون ٠ هذا غير صحيح من وجهة النظر المسيحية ٠ أتعلم ماذا يسمونه هنا ؟ المكنسة الجديدة ، لأنه يقول دائما انه سيكنس فكرة الألوهية من أذهان البشر ٠

برينان : (متشفيا) سيحيق به ضرر خطير ٠ كان على وشك أن يضرب علقة حين قال لأحد عمال البحر منذ أيام أن تكوين الانسان الأول يحمل علامات قاطعة على وجود الذيل ٠

ايامون : نعم ، وعندما تم تكوينـــه فان يكن قد جاء بلا ذيل ، ففيه كل ما يتفق ووجود الذيل •

رورى : ولكن أليس هذا تكريما طيبا تخلعونه على قداسة خلق الانسان !!

بريننان : (هامســا) والـكثيرون يا أيامون يقـولون ان تشجيعك له يجب أن يتوقف •

ايامون : أحقا ؟ طيب ، فليقولوا • سأقف بجانب أى رجل أمين يبحث عن الحقيقـة ولو كانت طريقته غــير طريقتى • (لبريننان) أنت نفسك تجاهر فى كل مكان باحتقـــار أشـــياء كثيرة ممـا يحبه جـيرانك الكاثوليك •

بريننان : أنا لا أعادى الا الأكاذيب الخطرة التى حـددها مجلس السنودس والتى لا وجـود لهـا فى الكتاب المقدس •

رورى : نعم يا ايامون ؛ الأمر مختلف جدا • فهو انمـا يمشى بين النـاس مثرثرا بطريقته البروتســتانتية الجاهلة •

بريننان : (بغضب شديد) أجاهل أنا ؟ وأين يســـتطيع انسان أن يجد أشنع من جهلك أنت ؟ اذا كان أمــر مجلس سنودسكم بالصلاة على الموتى الذين لم تعد تنفعهم المعونة ؛ وتقديسكم المحزن للقديسين والملائكة

وتماثيلكم الخشبية والحجرية المنحوتة ؛ اذا كان كل هـــذا قد أعطاك صورة الذيل وعنوانه ، فان لبن الانجيل الخالص قد جعل منى رجـــلا يخاف الله ؛ ولكنه مهيب ذو عقل مزدهر بالحق الخالد المبين •

(أثناء المناقشة يطل مالكانى من خلال الباب وهو يدخل الآن الى الحجرة فينظر الى المتناقشين بكثير من السرور وقليل من الاحتقار دون ان يتنبهوا لدخوله) •

روری : قطعا أيها الرجل ، لقد أصبت كـل أهـل الحى بحقدك الســفه على التقاليد الكاثوليكية والفـــكر الكاثوليكى ولم تتردد فى أن تلحق بالبابا نفســه نعوتا غير لائقة •

بریثان : لقد أوقعنا بكم الواقعة فى دورى وشـيعنا جثث شـجعانكم طافية على مياه البـوين ، كمـا أغرقت جيوش فرعون فى ماء البحر • ألم تكن هذه صفعة لباباك !!

مالكانى : أيها الأحمقان اللعينان ؛ ألا تعلمان أن البابا كان يريد أن يكســب الملك بيـلى المعـركة ؛ وأن الفاتيكان تلألأ بأضـواء الفرح عقب هزيمـة الملك جيمس على مياه نهر البوين ؟ •

روری : أنت كذاب • لم يفعل هذا •

بریثان : أنت كذاب • لم يحدث هذا •

(يعرضان عن مالكاني ليستانف شجارهما)

برينان : اسمع ؛ اذا كنت أعتقد فى أعمال القديسين والملائكة فانى أقول ان البروتستانتى الصالح سانت باترك كان على رأس ما حدث فى دورى وأوجريم على نهر البوين ٠

دورى : (وقد ذهل لفكرة أن يكون سانت باترك بروتستانتيا) سانت باترك بروتستنتى ؟ أمخطىء السمع أنا ؟ أى اسم ذكرت ؟

برينان : قلت سانت باترك ٠٠ المؤسس الانجيلى لكنيستنا الحقيقية ٠

دورى : أفى حلم ؟ هل يحدث لى شىء ، أم انه يحدث لك ؟ أوه يا رجل أنك تخلط الهزل بالجنون حين تظن أن سانت باترك طوق عنقه يوما بوشاح برتقالى أو نقر على طبلة بروتستانتية !!

برينان : (باحتقار) أنا أرفض مناقشة انسان غير واسع الأفق ؛ فالسخرية لا تقوم مقام المنطق ٠٠ ولذا فانى أقول حفظ الله الملك وليذهب البابا الى الجحيم ٠

دورى : (غاضبا) أيها الرافضى اللعين ٠٠ فليذهب الملك الى الجحيم وحفظ الله البابا ٠

مالكانى : (لأيامون) أترى مبلغ المرارة التى ينطوى عليها كل منهما لصاحبه ؟ ان الحسد والحقد والخصام

ليزحف من الحمأة السوداء لقصص العفاريت التى تسمونها دينا •

(يخرج كتابا من جيبه) ها هو شيء يحمـــل ألف اختبار تدل بوضوح على أن الأرض وكل ما عليهــا جاءت الى الوجود ببطء اسـتغرق ملايين السنين ، الأمر الذى يقضى نهائيا على أعاجيب الخلق فى سبعة أيام التى جاءت فى الانجيل •

أيامون : (يأخـذ الـكتاب من مالـكانى) شـكرا يابيتر يا ولدى • لابد أننى سأقضى وقتا طيبا فى قراءته •

مالكانى : سيعطيك التاريخ الحقيقى العلمى للانسان كما كان قبل آدم •

بريتان : (فى صوت مرتعب) انه لمظلم ذلك العقل الذى يحاول أن ينحط بنا الى ما كنا عليه قبل أن يخلقنا الله العظيم الرحيم • ماذا يريد أى عاقل من أن يعرف كيف كنا قبل خلق الانسان الأول ؟

ايامون : (ضجرا) معرفة الحقيقة ، والبحث عن الحقيقة؛ عمل طيب ولو أدى الى الموت الأبدى •

رورى : (مرتعبا يرسم الصليب على نفسه) ليحفظنا الله من كل سوء !!

بريتان : (هامســا بالرجاء) يا رب ، أنا مؤمن فأعنى على الشكوك •

مالكانى : (يشير الى صورة فى الكتاب) أترى هـذه ؟
هيئة الانسان قبل أن يولد ؛ أنظر •• الذيل ••
عظمة العصعص بارزة لمسـافة ميل • لا سبيل الى
انكار هذا •

برينان : (يهز رأسه أسفا) وهذه هى ايرلندا المقدسة !!

رورى : (يرفع عينيه الى السقف آسـفا) يالسانت باترك
المسكين •

مالكانى : (ساخرا) سيغدو رجلا بلا أليف عما قريب ، آه ؟
(لأيامون) حافظ لى عليه يا ايامون • عندما تنتهى
من قراءته ستكون رجلا آخر • (يذهب الى الباب)
لكم الصحة جميعا ؛ والى اللقاء ، مؤقتا •

(يخرج) •

رورى : لا شأن لك بهذا الـكتاب يا ايامون ؛ لأن هـذا
الانســـان الذى خـــرج قد يجرؤ على قلب بلاط
السماوات ليرى ما تحته • كان يجب أن يرمى به
فى السجن •

برينان : وأن يصادر الكتاب •

ايامون : رورى ، رورى ؛ أهـذا هو نوع الحرية التى
ستجلبونها لايرلندا بحزمة من الأغصـان الخضراء
والتمتـع بالصياح ؟ اذا لـم نتح لأهـل زماننا أن
يتفحصوا الـكثير من الأشياء وكـل الأشياء ؛ بل

والحياة نفسها ، فان الحرية اذن لن تكون الا زهرة من ورق ، أو كوكبا زائفا ؛ أو صبية ميتة على صدرها أشرطة زاهية وفى شعرها مشط من الذهب • فلنجلب الحرية الى هنا ؛ لا بالنحاس الرنان والصنوج الدقاقة ، بل بالألوان الفضية الصادحة ، بأغنية يستطيع كل الناس أن يترنموا بها ؛ بغصن نخلة فى يدنا ، لابكرباج فى حزامنا وبلطة جلاد على أكتافنا •

(تسمع طرقة خفيفة على الباب وصوت شيلا تتكلم)

شيلا : (من الخارج) ايامون ؛ هل أنت هنا ؟

بريتان : (هامسا) الفتاة الصغيرة • كنت أعلم أنها ستعود •

أيامون : أنا لا أريدها أن تراكم هنا • اذهبوا الى الحجرة الأخرى •• أسرعوا

(يدفعهم نحوها) والزموا الهدوء •

رورى : (لبرينان) ولا تسخر من البابا •• فاهم ؟

برينان : (لرورى) وأنت لا تخص الملك بميلى بالاستهزاء •

ايامون : هيا ادخلوا ، بسرعة •

بريتان : تنبأت بأنها ستعود • أليس كذلك يا ايامون ؟ انها ستعود ؛ أليس كذلك ؟

ايامون : نعم نعم • ادخل •

(يدخلهم الحجرة الأخرى ويقفل الباب ثم يعبر الحجرة ويفتح الباب لشيلا فتدخل ويلزم كلاهما الصمت لحظات وهى تحاول النظر اليه لتجد ذلك صعبا)

شيلا : (أخيرا) أليس عندك ما تقوله لى ؟

ايامون : (ببطء وبرود) انتظرتك عند الجسر اليوم ولكنك لم تحضرى •

شيلا : لم أستطع الحضور • وقد أخبرتك بالسبب •

ايامون : كنت مستوحشا جداً •

شيلا : (برقة) وكذلك أنا يا أيامون • شعرت بالوحشة حتى وأنا بين يدى الله •

ايامون : شيلا ، لقد قطعنا طريقا طويلا فى قارب ذهبى عبر بحار كثيرة ، رائقة ومائجة ، ترسل الرذاذ المر أحيانا فيصفع وجهينا • ولكنك كنت مصـغية على الدوام لخفقات أجنحة ملك الخوف ، ولهــذا نزلت لتمشى آمنة فى طريق مزدحم •

شيلا : هذا استقبال بارد متجهم يا ايامون •

ايامون : استبدلى ان شئت بالقبلة الدافئة على الفم الطامح المشوق ، لمســـة باردة من قديس معروق ملتح ٠ (بصـــوت مرتفع) اذهبى الى المزاحين الصـــاخبين وشجعيهم وتصايحى معهم ٠ !

شيلا : أفلا تصـــغى الى الكلمات القليلة التى أريـــد أن أقولها ؟

(ايامون يجلس بجانب النـار وينظر فيهـا ويتركها واقفة)

ايامون : هيا ٠٠ لن يفوتنى أن أسمعك ٠

شيلا : الله يعلم أننى لا أريد أن أوذى شـــعورك ولكنك يجب أن تعلم أننا لا نستطيع أن نبدأ حياتنا على القدر الذى تكسبه الآن ٠٠ أنستطيع ذلك ؟ ٠٠

(يلزم الصمت) أوه يا ايامون ، لماذا تضيع وقتك فى عمل أشياء سخيفة ٠ ؟

ايامون : أى أشياء سخيفة ؟

(تســمع ضجة فى الشـــارع خارج البيت واصــوات مرتفعة تقول « اعطوه واحدة فى ظهره » او «اطرحوه ارضا بواحدة فى بطنه» ، ثم يســـمع صــوت اقـدام تجرى ، يعقبه سكوت) ٠

شيلا : (عندما تسمع الأصوات ــ بعصبية) ما هذا ؟

ايامون : (دون أن يرفع نظره عن النار) شـــجار بعض السكارى أو غيرهم · (يصغيان بضـــع لحظات) نعم ، أى أشياء سخيفة ؟

شيلا : (خائفة مترددة) أنت تعرفها يا ايامون : محاولة التصوير ، والهيام الجنونى بشيكسبير ، والانضمام الى صنف من الناس لا يستطيع لك الا الضرر ·

ايامون : (بتضرع هازىء يرفع عينيه للســـــقف) اللهم الهمنى أن أترك السخف وأعيش وأســلك الطريق الذى يرسمه عقل شيلا !

شيلا : (تقترب منه) اســـمع يا حبيبى · أنت تعلم أن ما أقوله انما هو لصالحنا المشـــترك ، كيما يقترب يوم اقتراننا (تحاول أن تمزح) ألا أبدو مضـــحكة حقا اذا أنا مشيت بين الناس فى ثوب خفيف فوقه شال أسود متحشم وقدماى المســـكينتان عاريتان (ساخرة) ألا أبدو وسيمة بهذا الشكل ؟

ايامون : (بهـــدوء) مع بعض الورود الحمراء فى يدك ، ستكونين جميلة دون شك ·

شيلا : (ضائقة) أوه ، كن عاقلا بالله يا ايامون · لقـد بدأت أشعر بالسأم من هذا كله · لم أعد أســتطيع احتمال الطريقة التى تسير عليها (سكتة قصيرة) · اما أن تعمل على تحسين حالك ، واما ··

ايامون : (بهدوء) واما ماذا ؟

شيلا : (ببعض الاحتباس فى صوتها) واما أن تخسرنى ، وأنت لا تحب أن يحدث هذا ·

ايامون : أنا لا أحب أن يحدث هذا · ولكنى أستطيع الاحتمال ·

شيلا : جازفت بالتعرض لشجار عنيف الليلة فى سبيل أن أحضر لأحمل اليك نبأ سارا : قيل لى ان الاضراب لابد أن يقع ، وأنه سيحدث اضطراب ، وأنك اذا انفصلت عن هؤلاء العمال الحمقى ولزمت عملك ، فسوف تصبح فى أقرب وقت مقدما على نحو ما ·

ايامون : (يقوم من مقعده ويواجهها لأول مرة) من الذى قال لك كل هذا ؟ أهو المفتش ؟ ·

شيلا : لا يهم من يكون · وأن كان هو اليس هذا تفضلا منه ؟ ·

أيامون : أتعلمين ماالذى تطلبينه منى أيتها المرأة ؟ أن أكون خائنا لا خوانى المتعصبين ، أن أنسف بيد الفرار السوداء أملا باسما لزملائى · مهما يكن ظنك بهم فهم زملائى · ومهما يقولوا أو يفعلوا فسوف يظلون اخوتى وأخواتى · أذهبى الى جهنم أيتها الفتاة فان لى ضميرا كضميرك على أن أرضيه · (باحتباس فى صوته) أوه يا شيلا · ما كان ينبغى لك أن تطلبى منى هذا ·

شيلا : (تحـــــاول أن تقترب ولكنه يزيحها للوراء) أوه يا ايامون ، انها فرصة فانتهزها · أرجوك · لأجـل خاطرى ·

(تسمع خطوات مسرعة في الخارج · يفتح الباب فجأة ويدخل مالكانى شـــاحبا فزعا مشعث الثياب وعلى جبينه بقعة دم صغيرة · قبعته مطبقة على رأسه ومعطفه ممزق وصدريته مفكوكة الأزرار تكشف عن ربطة عنقه وقد شدت عن مكانها · يغوص في كرسى) ·

ايامون : ما الذى حدث ؟ من الذى فعل بك هذا ؟

مالكانى : فليعطنى أحدكم كوب ماء ، أرجوكم ·

(يقدم له ايامون الماء من ابريق على الشيفونير)

مالكانى : أطبق على جمع من الغوغاء وأنا أتحادث مع رجل· بكل جهد نجوت بحياتى · لولا سيدة عجوز شجاعة لأزهقوا روحى · لقد أنقذتنى مما هو أسوأ ·

ايامون : وكيف بحق جهنم جلبت كل هذا على نفسك ؟

مالكانى : (شاكيا) كل ما فى الأمر أننى أردت أن أدلل لأحدهم على ســـخف الاعتقاد بالحياة الآخرة ، واذا بشىء يخبطنى فى رأسى ، وأنا محوط بأقدام توجه الى الرفس من كل صوب !

(يسمع صوت تحطم زجاج من الحجرة الأخرى فيخرج منها برينان وروري جريا) ·

روری : حجر أصاب الشباك ! (يرى مالكانى) أوه ، اذن فهذه هى المسألة . ألم أقل لك مرارا انك اذا ما ظللت تسخر من الله ورجاله المقدسين فانه سيصب عليك جام انتقامه يوما ما .

برينان : ابتعد عن ذلك الشباك فقد يأتى حجر آخر .

(لا يكاد يتم عبارته حتى يخترق حجر الشباك . يستلقى برينان على الأرض ، وينزلق مالكانى من الكرسى ويقبع على الأرض ، وينزل روری على يديه وركبتيه مطأطئا راسه ما استطاع حتى يبدو كأنه ساجد ، تقف شيلا جامدة فى ركن قرب الباب . ويتناول ايامون هراوة من جنب الشيفونير ويتجه نحو الباب ليخرج) .

برينان : توقعت أن يحدث هذا .

ايامون : (غاضبا) سأريهم .

شيلا : (لأيامون) قف حيث أنت أيها المجنون .

(ولكن ايامون لا يلقى بالا للنصح ويسرع بالخروج من الباب) .

روری : (متشكيا فى اعتزاز .. لمالكانى) هذا ما تجلبه على الأبرياء باصرارك العنيد على الربط بين الانسان والحيوانات الدنيا .

مالكانى : (بشراسة) انما هى الوقاحة الموروثة التى تجاهد فى وضع أنفسكم فوق مستوى تكوين القردة الواضح خلقيا فى جسم كل انسان ٠

بريتان : (ثائرا) تتبع الحياة منذ بدايتها فلن تجد أثرا – ولا أقول دليلا – لأى صلة بين كرامة الانســـان وحكمته ورقته وبين طبائع القرد ٠

مالكانى : ولماذا يهوى الأطفال تسلق الشـــجر ٠٠ اه ؟ أجب لى عن هذا ٠

دورى : (بعنف) انهم يحبون هذا فى مسقط رأســـك أكثر مما يحبونه هنا ٠

شيلا : (من الركن) من المؤكد أنك تستحق الرثاء أيهـا الشاب اذ تسلم نفســـك الى كتب الجهالة لتقودك الى الاعتقاد بأن الأشياء ليست الا ما يميل السـذج الى اطلاقه عليها ، وهم فى عمى عن الحقائق الباهرة الخالدة المشرقة وراء ظهورهم ٠

مالكانى : (باشفاق) تقودنى الكتب ٠٠ الحقائق الخالدة ٠٠ أوه ! لقد تصلبتم جميعا من الضيق لمجرد الكشف عن حقيقة أو أخرى ٠ هل تعلمون أن تقلص الأمعاء والسكتة والسل وعتامة العين ظواهر مألوفة فى القردة ؟ لقد كشف العلم عن معارف لم تصـــل اليكم من قبل ٠ وكثير منها سائغ كالبيرة ٠

روری : طيب ·· أخيرا جئت بشيء محسوس ·

بريئان : (بعنف) هل تعلموا حب البيرة منا ، أم أننـــا تعلمنا حبنا للبيرة منهم ؟
أجبنى عن هذا ، هيا أجبنى ·

روری : أجبه عن هذا · لسنا همجا بل أناس عقلاء أصحاء متمدنون ·

مالكانى : (بفرح) تطورت الزواحف بفعـــل الزمن ·· هذا كل ما فى الأمر · لن تستطيعوا التخلص من عظمة العصعص ·

بريئان : نحن فى حضرة سيدات ·· فى حضرة سيدات ·

روری : (يزحف بسرعة حتى يلاصق وجهه وجه مالكانى ـ بعنف) نحن نقف على الأرض ثابتين منتصبى القامة مرفوعى الرأس نواجه كل انسان ولا نخشى شـــيئا · نحن قوم طيبو النوايا مزدهرون بنعمة الاحسان ، نعكس فى التراب الذى خلقنا منه بريق الماس المنبعث من قداسة الخلود ·

شيلا : (مهتاجة) يجب أن يشنق علنا ، فقد انغمس فى حمأة خياله الخصب وراح يجدف فى أسرار عقيدتنا المقدسة وحقائقها !

بريئان : (لشيلا) صه أيتها السيدة الجميلة ، صـــه (للآخرين) وأنتم أيهـــا الأولاد خذوا مثـــالا من

بروتستانتى كهل مسكين مثلى لا يسمح لنفسه بأن تبدو عليه بارقة من غضب فى أى مناقشة هادئة أو مائجة • فلتكن هذه الكلمة الأخيرة خاتمة لهذا الجدل • انتهوا •• أتسمعون ؟

دورى : (فى غضب ـ لبرينان) انته أنت •• أيها العجوز الأشيب اللحية الزائغ البصر الذابل الجلد الذى تنشد الأغانى فى الشوارع العامة نظير دريهمات تافهة ، على حين يعمل كل موظفى بنك ايرلندا وقتا اضافيا ليحصوا كل مالك فى خزائنهم • انته أنت •

برينان : (فى غضب شديد) أن ساعى مكتب متعجل لن يقف ليلتقط من طريقه ذلك القليل الذى أملكه من الدراهم • أما عن ذبولى فاننى مازلت غض الاهاب مثلك ، لى يدان قادرتان على أن تعزفا لحنا خفاقا على أرغن قديم ؛ وساقان قادرتان على أن تحملانى عشرة أميال وزيادة ، وعينان لا تزالان قادرتين على أن تبصرا دون عناء توتة حمراء ملتمعة فى غصن بعيد !

(يفتح الباب ويدخل ايامون وأمه • تجرى الأم الى الزهور التى على الشباك وتتحسسها فى حنان) •

مسز برايلون : (فرحة) سـالمة كلهـا · مر الحجر بجانبها دون أن يمس واحدة منها ·· الحمـد لله على هذه المنة ·

ايامون : بحق جهنم لماذا أنتم رأكعون ؟ انهضوا ، انهضوا (يقومون من على الأرض فى خجل) تفرق المشاغبون جميعا · (لمالكاتى) أمى هى العجـوز التى أنقذتك من ميتة مفاجئة غير متوقعة · وقد عاد التمثـال المبارك وهو يزهو فى ثياب جديدة · اسمعوا !

(يسمع صوت اغنية أثناء حديث ايامون ، والآن تظهر ايـدا وديمبنـا وفينولاوالرجال عند الباب وقد فتح على مصراعيه ، ثم يتقدمون بظهورهم قليلا فى الحجرة ينشدون جزءا من ترنيمة هادئة ، ولا تزال على وجوههم الشاحبة نظرة الاستسـلام الجامدة ، يحملقون فى التمثال اللامع الفخم كما صيره لهم بريتان وقد اقيم فى محراب فى الحائط المواجه للباب مباشرة · يغنى الداخلون فى هدوء) :

يا مليكة أطفال شعبك المساكين

عجلى بازاحة الهم عنـا

وأتيحى لنا ان نحيا فى سلام

ساعة من نهار حياتنا المظلم ·

ارفعى الرءوس المسكينة التى طال تنكيسها

وأضيئى نجما منفردا فى السماء

ليهدينا خلال الظلام الهابط

الى طريق أحفل بالبهجة نحو الموت .

ايدا : (تتقدم قليلا) عادت الى فقرائهــا مرة أخرى فى ملابس زاهية . عادت بمحض مشــيئتها . جاءت لتقيم مع شعبها .

ديمبنا : أطلت أورسولا الصغيرة من نافذتها فرأتها وهى داخلة . جاءت تخطر على الطريق فى ضــوء القمر تحفها المهابة . ولما أعشت بصرها الأضــواء الملونة التى التمعت حولها تراجعت الطفلة وســقطت على الأرض مغشيا عليها .

الرجل الأول : وأنا أيضا لمحت عيناى بارقة منهــا وهى تنساب عائدة الى مكانها . كانت جليلة معتزة رائعة حتى لقد زاغت عينــاى وارتعدت وانثنت ركبتــاى وهمس قلبى لنفسه بصــلاة خافتة حين مر الطيف أمامى ، وخيل لى أنى أرى بسمة على وجهها المقدس .

ايدا : لقد رأى الكثيرون فى منامهم رؤى عجيبة فى هــذه الليلة المباركة التى ستفيض منها البركة على كل من عمر الايمان قلوبهم ، وربما أصابت أيضا بعض من تنكبوا سبيل السائرين فى طريق الحق . (تقترب من مسز برايدون، على حين يظل الباقون مولين ظهورهم

نحو الحجرة ومعظمهم خارجها وقليل منهم على عتبة الباب ، في شبه دائرة ، ورءوسهم منحنية كأنما وقفوا للصلاة وهم يواجهون التمثال) كانت يد غريب أسود هي التى قذفت بالحجارة فى نوافذكم، ولكن قبل أن تطلع شمس غد ستعود كما كانت لتقيكم تقلبات الجو • بارك الله فيكم جميعا ••• (سكتة) ما عدا الشرير الذى يقف متصلب الرقبة تحت هذا السقف •

مالكانى : (ساخرا) أنا ؟

شيلا : (فى عنف) نعم أنت • أنت الذى لا ينبغى أن تجد ابتسامة أو قبضة يد مرخاة فى بيت أى رجل محتشم •

مالكانى : سأذهب ، فأنتم هنا أكثر بكثير مما أستطيع أن أناقش •• سأتركم ومعجزتكم •

ايامون : فى وسعك أن تبقى اذا شئت فمهما يكن فى هذا المكان من ملجأ آمن فانه يتسع لمن يريد أن يضفى لونا جديدا على أية حقيقة عرفناها من قبل •• والفكرة التى فرت من الضرب ستجد لها هنا سقفا يحميها ونارا تدفئها ما حييت أنا وما بقيت هذه الحجرات القديمة •

شيلا : (فى مرارة هادئة) طيب ، فلتؤوه اذن ، هذا

الذى كان ينبغى أن يتوه فى ظلام الليل الأســود ، وحيدا بلا أنيس ولا قبس ضئيل من نجم محتجب يرافقه من بعيد ٠ وأن يكون له متكأ قفـــر تحت أكمة شائكة مبتـــلة من شجر جفت أعواده وذوى ورقه ، يقهره العناء على الزهد فى حياة ليس فيهـــا الا مغالبة الرياح السود والمطر المعتم ٠ فليكن هناك مضطجعه ولتكن هناك حياته ، مهجورا منسيا من كل من يعيش فى ملجأ آمين جنب نار مدفئة ٠

مالكانى : (بفزع مصطنع) يا أرحم الراحمين ، لقـد قضى على ! فلأذهب قبل أن يحيق بى ما هو أسوأ ٠ ليلة سعيدة يا ايامون ٠

ايامون : ليلة سعيدة يا صديقى ٠

(يخرج مالكانى)

بريئان : اننا نعوق الناس الطيبين عن آن يأووا الى فراشهم ٠٠ الى اللقاء جميعا ٠

رورى : سأرافقك بعض الطريق ، وفى وسعنا أن ننتهى من تلك المناقشة التى بدأناها ٠ ليلة ســعيدة لكم جميعا ٠

(يخرج هو وبريئــان معــا ويقفلان الباب وراءهما ٠ شيلا تظل واقفة فى مكانها متبرمة صامتة) ٠

مسز برايدون : يا للعار يا شيلا • أيخرج مثل هـــذا الدخان الأســود من مثل هــذا المصباح الذهبى !
(شيلا تظل صــامتة) أنا منهوكة القوى فزعة من منظر الموت الذى رأيته اليوم • مهما نراوغ فسنلقى نفس المصير •

ايامون : (يقودها برفق الى الغــرفة الأخرى) اذهبى الى فراشك أيتها السيدة فأنت خائرة القوى • ما الزمن الا عجوز سليط حانثة تنذر بالموت آناء الليل وأطراف النهار ، ومن يصطنع القوة والبهجة فى كل لحظة من حياته لا يمكن أن يذوق طعم الموت أبدا ، وانمــا يمضى لينام بين النجوم وذراعاه الذاويتان ممدودتان تحييــان رجع ندائه • وعلى الذين خلفهم وراءه أن يبكوا ساعة ثم يتغنوا بأغانيهم العجيبة ويتمايلوا برقصاتهم الشاذة تقربا من الواحد الأحــد ، حتى يمضــوا بدورهم فى طريق الخــروج الأجرد • والانســـان الحق حين يموت انمــا يدفن فى مولد ألوف العوالم •

(تدخل مسز برايدون الحجرة الأخرى ويقفل ايامون الباب وراءها بلطف ثم يعود فيقف شاردا بجوار النار) •

ايامون : (بعد سكوت) ألا تعتقدين أن عليك أيضــا أن تذهبى ؟

شيلا : (فى شيء من الضعف) دعنى أقل لك بضع كلمات أخرى يا ايامون قبل أن نعاجل فراقنا •

ايامون : (بهدوء) لم يبق شيء يقال •

شيلا : بل هناك الكثير مما يقال ولكن الزمن العجول يأبى أن يمدد الساعة قليلا لتتسع لما قد يقال • وداعا •

ايامون : (دون أن يلتفت) وداعا •

(تتجه شيلا ببطء نحو الباب على حين ينفتح قليلا ويبدو منه راس ايدا وسط همهمة غير واضحة لصلاة تقام فى الخارج) •

ايدا : (فيما يشبه الهمس) يريد القسيس البروتستانتى أن يرى مسز برايدون •

(يختفى راسها ولكن صوتها يسمع قائلا بوضوح)

من هنا يا سيدى • أنت تعرف الطريق جيدا بالتأكيد •

(ينفتح الباب أكثر قليلا ويدخل القسيس ، وهو رجل وسيم فى الأربعين ، على وجهه الشاحب مظهر العلم والمهابة ولكن يبدو العطف فى عينيه الرماديتين • وحول فمه خطوط باسمة وان كانت تخفيها بعض الشيء لحية قصيرة سمراء مدببة وخط الشيب بعض جوانبها • يلبس فوق ثيابه السوداء

**معطفا اسود ثقيلا يزدهر سواده قليلا بكوفية خضراء حول رقبته تستقر اطرافها على كتفيه • على راسه قبعة قسيس سوداء ناعمة عريضة الحافة • وبيده اليسرى عصاة •
يسرع نحو ايامون وعلى وجهه ابتسامة صادقة مادا يده بالتحية) •**

القسيس : يا عزيزى ايامون • (يتصافحان) •

ايامون : (مشيرا الى شيلا) صديقتى يا سيدى •• شيلا مورنين (يقدم كرسيا) اجلس يا سيدى •

(ينحنى القسيس لشيلا فترد بهدوء ويجلس)

القسيس : أسرعت من بيتى فى عربة يا ايامون لأراك قبل أن ينتهى الليل (يأخذ وجهه طابع الجد) عندى لك رسالة •• وتحذير • .

(ينفتح الباب جزئيا مرة أخرى ويبدو جزء من راس ايدا وسط الهمهمة فى الخارج التى لا تسمع حين يقفل الباب) •

ايدا : اثنان من عمال السكة الحديد يريدان أن يقابلاك يا ايامون • ان بيتك مكتظ بالناس الليلة •• اه ؟

(يختفى الراس ويفتح الباب فيدخل عاملا السكة الحديد •• يرتديان ملابس خلقة كسائر العمال ولكن (كاب) السكة الحديد الذى يبقيانه على راسيهما يلتمع بالأشرطة

الحمراء التى تحوطه . وجهاهما كوجوه سائر
العمال كذلك . نظراتهما جامدة متجهة الى
الأمام . يقفان متصلبين حين يريان القسيس)

العامل الأول : (بعد سكنة) معذرة . لم نكن نعلم أن الراعى البروتستانتى هنا .

سننتظر فى الخارج حتى يذهب يا ايامون .

ايامون : القسيس صديق عزيز يابيل ، قل ما تريد دون خوف .. انه صديق .

العامل الأول : (فى شىء من التشكك) يسرنى أن أسمع هذا . هل تعلم أن الاضراب سيبدأ غدا ؟

ايامون : الآن قد علمت .

العامل الثانى : رفضوا علاوة الشلن . عرضوا علينا ثلاثة بنسات بدلا منها .. المنحطون (بسرعة للقسيس) لا تؤاخذنى يا سيدى .

العامل الأول : (يخرج ورقة من جيب صدره) وقد أعلن عن الاجتماع .

القسيس : (لأيامون) هذا جزء مما جئت لأخبرك به .

العامل الأول : (يناول الورقة لأيامون) سلموا هذا الى لجنتنا هذا المساء ، اعلان تحذير .

القسيس : (لأيامون جادا) كلفت بأن أنذرك يا ايامون

بأن السلطات مستعدة لاستخدام كل ما عندها من قوة لمنع الاجتماع ·

ايامون : من الذى كلفك يا سيدى ·· أهو مفتش البوليس ؟

القسيس : حارس كنيستى يا ايامون · فحتى هو فيه بعض الخير ·

ايامون : أوافقك على هذا يا سيدى ، ليس عندى ما آخذه عليه ·

القسيس : (مقتنعا) هذا ما أعلمه يا ايامون ·

ايامون : (مشيرا الى الورقة ·· للعامل الأول) وماذا ستصنع اللجنة بازاء هذا ؟

العامل الأول : ماذا تصنع أنت بازائه يا أيامون ؟

ايامون : (يشعله بالنار وينتظر حتى يتساقط رمادا) هذا !

العامل الثانى : (مسرورا) ما قلنا انك ستصنعه بالضبط!

شيلا : (بترفع) انه غير ما يظن أى انسان عاقل أنه سيصنعه ·

العامل الأول : (يتجاهلها) وفضلا عن هذا يا ايامون يا ولدى نحن نريدك أن تكون أحد الخطباء على منبر الاجتماع ·

شيلا : (تندفع الى الأمام وتواجه العاملين) لن يفعل شيئا مثل هذا •• أتسمعان ؟ لا شيء من هذا •• أيهـــا النواحون اللاعقو الجمر ، من ذا الذى يلقى بالا لمـــا تعانون أو كيف تموتون ؟ أمام ايامون قراءاته وصوره ليتمها ، أنه ليرعاها ' وذلك أولى من أن يتشـــدق بشكاواكم أمام فوهة بندقية مستعدا لأن ينشـــد أنشودة الموت القصيرة الخاطفة •

العامل الأول : (فى شيء من الخوف) جئنا لنرى ايامون لالنراك أنت يا آنسه •

العامل الثانى : (بخشونة) دعى الرجل يتكلم عن نفسه•

ايامون : (يمسك بذراع شيلا ويشدها الى الوراء) انهما يريدان ردى آنا (للعاملين) أخبر اللجنة يابيـــل بأنى سأحضر ، وأنهم يشرفوننى أذ يســـــمحون لى بالوقوف أمام اخوتى • ولنعدل عن الحفلة •

شيلا : (متفزعة للقسيس) كلمه أنت فأنت صـــديقه تستطيع أن تؤثر عليه • اقنعه بالابتعاد يا رجل •

القسيس : ينبغى على أن آنذرك يا ايامون أنت وصـاحبك بأن الســـلطات مصممة على منع الاجتماع وأنكم تتعرضون لخطر جسيم اذ تتحدونها •

العامل الثانى : (يزمجر) سنجازف • لقد طال بنا العواء يا سيدى وآن الأوان لنجرب العض •

شيلا : (للقسيس) الانذار غير مجد . هـذا لا يكفى ..
امنعه من الذهاب .

أره أن الله لا يرضى عن هذا .

القسيس : (يقف) من أنا حتى أقول ان الله لا يرضى عن هـذا ؟ انك أصغر بألف سنة من أن تدركى ارادة الله . اذا كانوا اخوته فمن الخير أن يكون معهم .

شيلا : (بعنف) سـأحضر أمه لتسـد عليه الطريق .
ستذهب الى أبعد من التمرمر بأعذار ضخمة .

(تجرى نحـو باب الحجرة الأخـرى وتفتحه وتدخل . بعد لحظات تخرج متباطئة وتذهب الى الكرسى الذى اخلاه القسيس وتجلس عليه وتتكىء بذراعيها على المنضدة وتسـند راسها اليهما) .

ايامون : نعم ؟

شيلا : (فى ضعف) انها متمددة متعبة شاحبة مستغرقة فى النوم . لم يطاوعنى قلبى على ايقاظها .

القسيس : (يمد يده الى ايامون) تعال لمقابلتى قبـل أن تذهب يا ايامون ثق أنك حيثما ذهبت ومهما فعلت فان بركة منبعثة من أعماق قلبى تحف بك . وداعا (للعاملين) وداعا يا صديقى .

العاملان : وداعا يا سيدى

(ينظر القسيس الى شيلا ثم يستقر رايه على ألا يقول شيئا فيذهب الى الباب • ايامون يفتح له فيخرج مخترقا شبه الدائرة من الرجال والنساء الذين مازالوا يغنون فى رقة امام تمثال العذراء • يسمع بكاء شيلا فى هدوء كنغمة خافتة اثناء الغناء) :

آه يا مليكة أطفال شعبك المساكين

عجلى بازاحة الهم عنا ،

واتيحى لنا أن نحيا فى سلام

ساعة من نهار حياتنا المظلم •

« ستار »

الفصل الثالث

جزء من مدينة دبلن ينتهى بشــارع وجسر (كوبرى) على نهر ليفى ، تظهر أسوار الجسر الى اليمين واليسار بحيث يشغل الجسر معظم المنظر الذى أمام المشاهد • يؤدى الطرف البعيد للجسر الى شارع يمتد الى نقطة فى أقصى البعد ، وعلى يمين هذا الشارع ويساره بيوت مرتفعة حائلة اللون تحفل بحركة مشبوهة وتجمعات من كل أنواع الرجال والنساء تعمل الحفر فيها باحثة فى حزن عن مأوى • وهذه البيوت تقوم على طول شــارع آخر مواز للنهر • على البعد حيث ينتهى الشارع الممتد من الجسر والى اليمين يقوم برج كنيسة فضى مستدق الطرف • والى اليسار عمود نلسون التذكارى الأحمر القانى مشرئبا الى السماء وفى طرفه نلسون ، وقد بدا أســود فاحمــا يشرف على كل شئ يجــرى من حوله • سـماء رمادية حزينـة تظلل المنظر • وبذا تتكون ألوانه من البيوت الداكنة وأسوار الجسر السمراء والسماء الرمادية والبرج الفضى والعمود وتمثال نلسون الأسود •

يشاهد على أحد سورى الجسر عدد من الرجال الذين شوهدوا فى المنظر السابق مجتمعين معا ، وقد اختفت وجوههم الخالية من التعبير منحنية نحو صدورهم ، بعضهم يجلس على الأسوار والبعض يستند الى جدران البيوت الحائلة عند زاوية الشارع الممتد من الجسر • وفى أحد الأركان يستند أحد الرجال متعبا الى السور وهو منكس الرأس يتدلى من فمه غليون غير مشتعل يظهر أنه نسيه • الشمس طالعة على العمود وبرج الكنيسة ولكن لا أثر لها حيث يقف هؤلاء الناس •

على الرصيف المقابل لمكان جلوس الرجال وفى الطرف القريب للجسر تجلس أيدا وديمبنا وفينولا فى ملابس سوداء حتى ليبدو أنهن متشحات بسواد ليل مظلم • أمام ايدا سلة كالحة اللون بها بعض الكعك والتفاح الذى مضى عليه فيها وقت طويل قلق وأمام ديمبنا سلة أصغر بها زهور ذابلة ، وفى يدها المرتعشة تتدلى حزمة من زهور البنفسج الذاوية ••

ايدا : (فى شبه نعاس) هذه السماء الاسفنجية الرصاصية هى دبلن ؛ وهذه البيوت التى تشبه القبور هى دبلن أيضا •• جسد دبلن الأجرب ••

ونحن روح دبلن الفضية • (تبصق بقوة فى الشارع) •
وهذا ماتعتقد أيدا عن روح المدينة وجسدها !!

ديمبنا : أنت أكثر من محقة ، ولكننى لا أحب أن أبالغ فى العنف • (تنادى وكأنما تتغنى) هنا البنفسج •• الحزمة ببنسين فقط • الحزمة ببنسين • البنفسج الطازج •

ايدا : (تنادى متغنية) التفاح والكعك •• بنسان فقط لكل كعكة •• التفاح الناضج ببنس الواحدة •

ديمبنا : الشمس بعيدة دائما والغبرة القارسة هنا دائما •

فينولا : السماء الداكنة تظللنا الى الأبد مشتتة كل فرصة للانتعاش تقبل متخاذلة لانجادنا •

ايدا : هذه هى دبلن يافينولا والسماء التى تظلها • نخوض فى الأسى كالوحل تحت أقدامنا يضرب فى كعوبنا ، يغذيه الرذاذ الدائم من فوق رءوسنا •

ديمبنا : مقبرة كل الأموات فيها فوق سطح الأرض •

ايدا : دون بارقة من الراحة تبعث فيهم الأمل • وهى شامخة برأسها حتى لتبدو وسط المدائن الأخرى كملكة وسط الحاشية ، محملة بالعلم ، فوارة بسير عظماء الرجال ، جديرة بأن ترهب كل من يعيشون وراء البحر المالح تحت شمس أخرى فى النهار وقمر آخر فى الليل •

(يغشاهن النعاس ورءوسهن منكسة)

الرجل الأول : (المتكىء فى تهالك على السوز) سيكسب ذكر الأوز الذهبى (اسم حصان) اذا صحت نبوءتى (يرفع صوته قليلا) سيمرق متخطيا علامة النهاية كالسهم من القوس فى بطولة سباق الخمسمائة جنيه ·

الرجل الثانى : (يعترض فى نعاس) أراهن على ذلك برقبتى · قد تكون له فرصة لو كانت نزهة · سنتركه الأوزة النحاسية (اسم فرس) واقفا اذا صحت نبوءتى أنا ·

ايدا : (تصحو قليلا) نبوءات ؟ هل تخدعنى أذناى أم اننى سمعت أحدا يقول نبوءات ؟

ديمبنا : سمعت لغطا عنها يا ايدا ، وانها لكلمة ثقيلة على السمع تذكرنا بحالتنا المتدهورة فى ظرفنا الحاضر · فالأنبياء الذين كانوا عندنا يوما ما قد اختفوا فى غامض علم الله الآن ، ولاعجب فنحن نمر بهم مر الكرام ، والله فى غضبه الكريم يرينا ما الذى نجنيه من الشباب العائد الى الوطن: أغان وملابس عسكرية، واطمئنان معدوم ·

فينولا : (تهز رأسها أسفا) شمعة موشاة بالذهب بيضاء كالثلج ، هكذا كانت دبلن يوما ما · ولكنها أضحت صفراء مترنحة تتهاوى الى ريشة مرتعشة فى مهب ريح الحياة ·

ايلدا : على أى حال مازالت عندنا بيرة جينيس تمنحنا بارقة مشتهاة من حياة أفضل ، ساعة أو بعض ساعة . ليلة السبت • ولو أننى أرفع يدى ممتدحة وضع قيثارة بريان بوراس الذهبية على كل زجاجة نبيذ سـوداء صنعت لتعطى الأجانب انطبـاعا زائفا عن عجبنا بذكريات ماضينا الوطيبة الباسلة •

(يظهر القسيس ومفتش البوليس فى الطرف البعيد من الجسر ويسيران عليه نحو الرجال والنساء • القسيس يرتدى زيا أسود وقبعة لامعة طويلة وبيده عصا • وقد خلع معطفه ولكنه احتفظ بالكوفية الخضراء حول رقبته • المفتش يرتدى زيا رسميا أزرق بشرائط فضية على كتفيه ووشى فضى على الياقة وأساور الأكمام ، وخوذة كبيرة زرقاء طرفاها الأمامى والخلفى ذوا حافة فضية ، وفى رأس مدبب فى أعلاها ريشة جميلة قرمزية ، وفى مقدمتها تاج فضى كبير مستقر على دائرة من القطيفة الحمراء • يتدلى من جانبه سيف فى قراب فضى • فى قدميه حذاء طويل شديد اللمعان• يقفان على الجسر فينظر القسيس عبر السور شاردا الى النهر الجارى) •

المفتش : كانت حفلة زفاف عظيمة ياسيدى • عريس جميل وعروس أنيقة وجماعة من الصفوة ، وقد وفى الأسقف المناسبة العظيمة حقها فى خطابه الرائع ياسيدى •

وكان ختاما مناسبا له أيضا عزف « الصوت الذى خفق على جنة عدن » على الأرغن .

القسيس : (بعدم اهتمام واضح) أوه نعم نعم . تماما .

المفتش : حى تاريخى هذا الذى حولنا : كان مقر قيادة أحد فيالق المتطوعين أيام جراتان .. ليس معنى هـذا بالطبع أننى أتفق مع جراتان .. كان أحـد أجـداد جدى من ضباطه .

القسيس : أوه نعم . أهذا حق ؟

المفتش : نعم . كان يرتدى زيا رسميا غريبـا . : شديد السواد بسجافات من الأزرق السماوى وصدر أصفر مخطط بأشرطة حمراء ، وعلى الرأس خوذة فضـية ضخمة تطل عليها من الجانب الأيمن ريشة صفراء .

القسيس : (مبتسـما) ان زيك ليس رديئـا يا مستر تشبرشواردن .

المفتش : أنيق . ولكنه غامض جدا على ما أظن يا سيدى .

ايلدا : (وهى تعوى فى اتجاههمـا) ببنس واحد فقط : التفاح الوردى ، جميل للنصابين .. ياالهى ، ماذا أقول ؟ جميل للسادة الصغار والسيدات الصغيرات، عظيم فى بيوتهم ذات القناديل والسجاد .. أو كعكة ... ببنسين فقط الواحدة ... رقيقة التحويج ، لذيذة الطعم .

ديمبنا : (تعوى فى اتجاههما)بنسان هنا لحزمة البنفسج ... مناســـبة فى اللون لثوب سيدتنــا العــذراء الكشميرى الأبيض النقى .

ايــدا : (مستعيذة) ماذا تقولين يا امرأة ؟ هــذا قسيس بروتستانتى وسيد حق ياديمبنا .

ديمبنا : سها ذهنى لحظة . ولكنه سيشفق بنا وينظم حياتنا بما يجعل فنجانا فجائيا من الشاى فى متناول أيدينا .

ايدا : هنا التفاح .. ببنس الواحدة .. تفاح وردى .. مقطوف منذ ساعة فقط من شجرة محملة . كعك ببنسين فقط ... مخبوز على الحشائش المعطرة حين خطا الفجر على ظهور جبال دبلن المتشحة بالزرقة .

ديمبنا : ببنسين الحزمة ... البنفسج ... خجول سكران بندى الصباح ، مشتاق لأن يرقد فى صــدر أبيض لسيدة كريمة المحتد ... أو مناسب لعروة سترة سيد أصيل فى يوم أحد .

(يخرج القسيس بعض العملة من جيبه ويرمى بها الى النسوة فيلتقطنها ويعلن الصمت) .

المفتش : وسويفت كذلك ، لابد أنه تجول هنــا وأشــواك تاج الجنون تضغط متغلغلة فى مخه .

القسيس : (يشير الى الرجال والنساء) من هؤلاء ؟

المفتش : (بلا أكتراث) هؤلاء ؟ أوه ، سقط « ولقط • ربما نفـر من الخطـرين فى الليل الذين لاضرر لهم فى انتهار •

القسيس : قرأت أن عشرات الألوف من أمثال هؤلاء ساروا وراء سويفت حتى مثواه الأخير •

المفتش : أحقا يا سيدى ؟ رجل عجيب ••• القمص المسكين الذى أصابه الجنون ••• رجل عجيب حقا •

(احد المتسكعين الناعسين يكح فجأة ويتنحنح ويطلق بصقة كبيرة على احدى فردتى حذاء المفتش اللامعتين ثم يستغرق فى النوم مرة اخرى) •

المفتش : (وهو يقفز للخلف بصرخة غاضبة) ماذا تفعل بحق جهنم أيهـا الضب المتعفن • انظر الى مافعلته أيها الفأر الأجرب •

(يمسك بالرجل ويهزه بعنف):

الرجل الثانى : (غاضـبا فى نعاس) أنت هنـاك • أى جهنم ؟

المفتش : (بغضب شديد) بصقت على حذائى أيها الضفدع البشع •• حذائى •• حذاء •• حذاء !!

الرجل الثانى : (فى ذعر وارتباك) حذاء يا سيدى ؟ أهو أنا ياسيدى ؟ لست أنا ياسيدى لابد أنه شـخص آخر ياسيدى •

المفتش : (يهزه بعنف) أنت ؛ أنت ، أنت !!

الرجل الثانى : أنا ياسيدى ؟ لم أبصق فى الطريق أبدا طول حياتى ياسيدى . أنت مخطىء ياسيدى . لابد أنه شخص آخر .

القسيس : ياجناب المفتش فينجلاس ، تذكر أنك ترتدى الزى الملكى . اهدأ ، اهدأ يارجل .

المفتش : (هابطا) معذرة أفلت زمامى . أنا أكثر تعودا على ضربة بحجر من بصقة قذرة على حذائى .

القسيس : (يرتعش قليلا) فلنمض من هنا . كل شىء هنا يفزعنى اذ يبدو أنهم ينظرون باستغراب الى ماعلينا من مظاهر الاطمئنان والدعة .

المفتش : يفزعك ؟ كلام فارغ .. وأنت معى !!

القسيس : الأشياء هنا من مادة لا أجرؤ على التفكير فيها ، فضلا عن أن أراها وألمسها . هنا أكاد لا أقوى على النظر الى الشىء الواحد مرتين .

المفتش : ها أنت . وكما قلت مرارا وتكرارا ، ان برايدون ليس الا طينة من نفس العجينة .

القسيس : أنت تظلم نفسك اذ تقول هذا : أيامون برايدون يملك بين جوانحه مملكة السماء (يسكت) وفى الحقيقة يجب أن نبتعد عن هذه الأشياء المحزنة . .

(يخرجان)

ايلدا : (وهى تفكر فى النقود التى أعطيت لها) قطعتان ضئيلتان من ذوات الستة بنسات ٠٠٠ أربعة بنسات لكل رأس ٠ طيب ٠٠٠ الشحاذون ليس لهم الخيار ٠ ولكن أليست حياة صعبة أن نطحن أعجازنا البائسة حتى تصبح رمادا ، بجلوسنا طول العمر على أرصفة شوارع دبلن التى لاترق ولا ترحم !!

ديمبنا : آه ٠ ما الأمر كله بالنسبة الينا الا قدر مكتوب بالبؤس منذ الأزل :

سماء معتمة فوق رءوسنا ، شوارع مغبرة تحت أرجلنا ، ونهر ليفى الأسود المر يجرى خلال هذا كله ٠

ايلدا : (منتحبة) لقد سقطنا فى هاوية العدم ٠ كنت صغيرة حين كانت كل أمسية هادئة تحمل فى صدرها جوهرة من البهجة ٠ كنت اذ ذاك أتعذب فرحا وأنا أتأهب لجولة فى الشوارع المزدحمة ؛ أأختار ذراع فارس من فيلق الخيالة السادس عشر بثوبه القرمزى الأسود الصدر الذى يسر الناظرين، والريشة السوداء المتدلية من خوذته العالية ، أم أتخذ رفيقى واحدا من حرس البرنس أوف ويلز الخاص ذى صدر أحمر وريشة حمراء فى قبعته كأنها لهب مشتعل فوق رأسه ٠

ديمبنا : كان لى واحد من فرقة الخيالة الملكية الخاصة الخامسة عشرة يا ايدا بسترته الزرقاء الغامقة وأشرطتها الصفراء ، وشريطين أصفرين على جانبى بنطلونه ، وريشة حمراء ترقص فوق خوذته ٠

ايدا : كنت أهوى الرماة ياديمبنا ٠

ديمبنا : وأنا كنت أهوى الفرسان ياايدا ٠

ايدا : وماذا لك أنت يافينولا ؟

فينولا : ما الذى يمكن لفتاة ولدت فى واد قفر من وديان كورك تحوطه الجبال ، وربيت على أن تتغنى بأغانى آبائها ؛ ما الذى يمكن لها أن تختاره غير الرداء المرقع والحذاء البالى والوجه الأبيض الجائع للثائر الايرلندى؟ غير أن رثائتهم كانت توشيها ألوان من ثياب فين مك كول ذى الشعر الذهبى ، وجوك ماك مورنا ذى الضربات الساحقة ، وكاويلت ذى الأقدام الطائرة ، وأوسكار ذى الرمح الذى لايكسر ٠

ايدا : (تغمز ديمبنا) كان هذا فى زمن مضى اذا شئت رأيى ٠

(يسمع هتاف على البعد فيه رجع التحدى والثقة ولو أن صداه لايصل الا الى الجس)٠

ديمبنا : (ناعسة ولكنها ترفع رأسها قليلا لتسمع) ماهذا ؟ هتاف ؟ (نطاطىء رأسها ثانية) أنا أكره صـــوت الهتاف ·

(تدخل مجموعة من العمال مهتاجين يتحدثون معا بصوت مرتفع)

العامل الأول : (تغلبه الحماسة) عمال الميناء معنا الى آخـر رجـل ، وسائقو النقل كذلك · سيحضرون اجتماعنا كلهم ·

العامل الثانى : بموسيقاهم وبيارقهم ·

العامل الثالث : (فى خوف) هل يستدعون الجنود ياترى ؟

العامل الأول : (بصوت مرتفع متحد) فليفعلوا · سنواجههم·

العامل الثالث : (فى شك) ماذا ؟ أنواجه الخيالة وطلقات رصاصهم ؟

العامل الثانى : نعم ، بل الخيل والمشـــاة والمدفعية ؛ ماذا يهم ؟

العامل الثالث : اذا خرج الجنود فان الشرطة سوف يتشددون اعتمادا على القوة التى تظاهرهم ·

العامل الثانى : ولو فعلوا هذا فماذا يهم ؟

العامل الثالث : (متضايقا يكاد يصيح) يبدو أن لاشيء يهمكما أنتما الاثنين ·

(يسمع صدى هتافات متعالية)

العامل الأول : (فى غاية الحماسة) أسمعتم هذا ؟ ان أيامون يثير الحى الواقع الى الغرب من مكان وقوفنا هذا ٠

(صدى هتاف آخر يأتى من وراء الجسر)

العامل الثانى : (وقد غلبته الحماسة) أسمعتم هذا ؟ ان ميك يثير سكان الشوارع التى حول نهاية الجسر ٠

العامل الأول : هبـا يا أولاد ٠ لدينـا عمل يجب أن نؤديه قبل أن يبدأ الاجتماع الحقيقى ٠

(يخرج عن طريق الجسر)

العامل الثانى : سوف نترنم بأغانى الموت لبعضهم لو حاولوا ان يمنعونا الآن ٠

(يسرعون بالخروج ٠ يقدم بريتان متمهلا من الطرف البعيد للجسر وهو يعزف على ارغنه)٠

بريتان : (بطمئن نفسه) مساء الخير أيتها السيدات والسادة٠ تزدهر الأشياء الطيبة عندما تحنو الشمس ٠

(لا يأبه أحد لما يقول ٠ يبدأ فى الغناء بصوت كان رخيما فيما مضى ولكنه بح بفعل الشيخوخة. يتحشرج بين آن وآخر عند النغمات العالية) ٠

تمشيت مع فتاة حسناء الى أقاصى الريف وجميـــع الأزهار من حولنا تصرخ فى طلب الندى ٠

وعلى مقعد بنفسجي الكسوة جلست مطمئنا الى جوارها
وشمرت أكمامي لأربط لها حذاءها •
وما الذى يهم أى انسان فى هذا ، حدث أو لم يحدث ،
مادمت قد تقدمت حين أتاحت لى الفرصة ؟
اغمضت عينيها بشدة وهى تمرمر فى همس خفيف •
تكرم ياعزيزى واربط لى حذائى •

ايـدا : (تدمدم فى غضب) أليس هذا فاضحا الآن فى مثل هذا اليوم وفى ساعة الجد ؟

الرجل الأول : (يصحو فجأة) تزعجون أحلامى عن ذكـر الأوز الذهبى وهو يجرى ليكسب السباق !!

بريثان : (يغنى) :

نشرت علينا العضاة كل شذاها •
وحيت زهور الخشخاش الحمر حيثما نبتت
ذلك الجهد السعيد الذى اختال أمام عينى
حين شمرت أكمامى لأربط لها حذاءها •
وما الذى يهم أى انسان فى هذا ، حدث أو لم يحدث،
تعلمت فى تلك اللحظة أكثر بكثير مما كنت أعرف
عندما رفعت ثوبها فى خفر وتباطؤ
وشمرت أكمامى لأربط لها حذاءها •

كانت التلال المعشوشبة ترقص من حولنا
وتحولت كل الأشياء الزائفة فى الدنيا الى حقائق
عندما أحاطتنى بذراعها وقبلتنى وهمست :
ربطت حذائى بدقة ورقة .
وما الذى يهم أى انسان فى هذا ، حدث أو لم يحدث،
اجترأت معابثا على أن أرأى خافية الأمر
عندما رفعت ثوبها فى صمت وتباطؤ
وشمرت أكمامى لأربط لها حذاءها .

(تلقى بضع بنسات من نوافذ المنازل . يلتقطها برينان ويخلع قبعته رثة عريضة الحافة ويلوح بها منحنيا . أثناء غناء المقطع الأخير يدخل ايامون وروري ويصغيان اليه وهو يغنى مستندين الى سور الجسر . يظلم المنظر أثناء الغناء حيث تبدأ الشمس فى الغروب) .

الرجل الثانى : (يصحو فجأة) ابتعد أيها العجوز ، أنت تحاول أن تحول أفكارنا عن الطريق الذى نحن فيه ، وعن الأمل الخابى الذى نتطلع اليه .

الرجل الاول : (يصحوا غاضبا) أمض من هنا الى جهنم بأغانيك المثبطة التى تغرى بالخمول .

ايلا : كان ينبغى أن توطن روحك فى مثل هذا السن ،

بدلا من أن تترنم بالاناشيد : على الطريقة التى تخشى بها ما قد يصيبك فى ظلام الليل وأنت مجرد حتى من سيف بجانبك .

الرجل الثالث : أغرب أنت وأغانيك الحارة الى بلاد اشتهرت بالجهل والعار .

فينولا : اذهب الى حيث النساء الخليعات كثيرات قادرات على أن يفتحن أكياسهن الأرجوانية ليمطرنك بالعملة اللامعة .

(بريتان يعيد ارغنه الى ظهره وقبعته الى راسه ويتخذ طريقه عبر الجسر) .

روري : (أثناء مروره) أليس عجيبا أنك لا تغنى الآن أغنية ايرلندية خالية من المآخذ : بدلا من تلك المشبعة بمباذل اللهو الأجنبية ؟

(بريتان لايلتفت اليه بل يعبر الجسر ويخرج. يبدأ الرجال والنساء فى الاستغراق فى النوم مرة اخرى) .

ايامون : دعه فى حاله يا رجل . لقد أجاد غناء أغنية مطربة . وكان ينبغى أن يلقى تحية أفضل .

روري : (غير ملتفت لملاحظة أيامون ـ مخاطبا الرجال والنساء) لماذا لم تمنعوه قبل أن يبدأ ؟ الوقت وقت « جوهرة الصدور البيض » أو أنشودة

المعركة فى مانستر التى نشعل فيكم نار الحرب التى استقرت فى قلب « كون » صاحب المعارك المائة . كان حارس تارا ، وكانت يده تضرب فى أعماق الأنهار وتحلق فوق أعالى التلال لتمسك بخناق جيش من الأعداء الأشداء فتجره مرتجفا من مخابئه . كان قائدا لجيش « ماج فيمون » وحامى مونيموى وبطل نهرنا « ليفى » الذى يجرى خلال مدينة كانت كئوس الشراب فيها يوما ما من الذهب ، قبل أن يحمله حكماؤنا مع الطيب والأفاويه الى « بيت لحم » المنورة .

ايدا : (وقد غلبها النوم ـ تتمتم بصوت خفيض) ارحل أنت أيضا بذكرياتك الثرثارة عن مجانين الحرب من المقاتلين الذين دفنوا فى أعماق سحيقة لا تصل اليهم الكلمات . ببنس الواحدة .. هنا التفاح الناضج.

ديمبنا : (فى نوم بصوت خفيض) ارحل ودعنا نستغرق فى النوم لنلتمس كسرة خبز جافة فى دنيا الهدوء المظلمة . ببنسين حزمة البنفسج الطازج .

فينولا : (فى نوم) اجر يابنى الى حيث لا تستطيع العيون البراقة أن ترى الخوف ، وتتوق الأيدى البيضاء الخاملة لأن تعلق سيفا فى جنب أحد الشباب .

الرجل الاول : (بزمجرة نائم) اذهب الى جهنم حيث تجد الحياة الناعمة متسعا تتحرك فيه وساعات

فراغ تزجيه ، حيث تختلط أنغام الشتاء الأبيض بألوان الظلال .. الوقت ثمين هنا .

الرجل الثانى والثالث : (معا يدمدمان) الوقت ثمين هنا .

ايامون : استيقظوا . اننا نمسك مدينة بأيدينا !!

ايدا : (بصوت خفيض جدا فيه مرارة) انها مدينة مرة .

ديمبنا : (بنفس اللهجة) انها مدينة سوداء مرة .

فينولا : (بنفس اللهجة) انها مدينة سوداء مرة .

الرجل الأول : كبغى شعثاء مقهورة ابتليت بطول العمر .

الرجل الثانى : وأصبحت أبوابها الثلاثة قلاعا للفقر والندم والألم .

ايامون : انها على ما صنعتها أيدينا . نحن نصلى كثيرا ونعمل قليلا . لقد تشابكت أمجادها فى نسيج سميك من الدناءة والحقد والأوضاع المبتذلة ؛ ولكن هذه الأمجاد لا تزال قائمة يراها كل ذى عينين مفتوحتين .

ايدا : (فى مرارة بصوت خفيض) املأ يديك من أمجادها اذن ، فلن يطول بقاؤها مع مناهضتك لأولئك الذين يمسكون بزمام المملكة ويسوسون السلطة .

ديمبنا : (معاتبة) انه حسن القصد يا ايدا ، وهو عليم بأشياء تخفى علينا ، ونحن نعرف أن قدمى أمه

المسكينة العجوز الضعيفتين طالما شقتا طريقهما الى معظم بيوتنا المتداعية لتوفر لنا من أسباب الراحة ما هى نفسها محتاجة اليه بشكل محزن .

ايدا : (بطريقة فيها بعض الحيوية) او لست أعلم هذا حق العلم !! انها أخت مسكينة لا تتوقف عن المساعدة ، عميت عن نفسها لفرط ما أبصرت من حاجات غيرها . لسوف يقلق الخير عندما تغيب عن ناظريه .

فينولا : انها بملامحها المكدودة ووجهها المتغضن شمعة بيضاء طاهرة يباركها فى هذه اللحظة القديس كولكبل الوديع ، أو ايدان الراكع على عتبة الجنة ؛ او لوزيرينا ذات الصوت الفضي والثياب الثلجية . فلتكن عباءة بريجيد الزرقاء راية تخفق فوق رأسها الى الأبد .

المرأتان الأخريان : (معا) آمين .

روری : (وقد نفد صبره) انا نضيع وقتنا هنا .. هيا بنا .

ايامون : اهدأ يا رجل . كانت « على وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه » .

روری : لا شيء يرف هنا غير البؤس . ان قصف البنادق وترديد الشعار هما الشيئان الوحيدان اللذان

يفزعانهما . لا فائدة لوجودنا هنا . أنا ذاهب اذا
كنت تريد البقاء .

أيامون : انتظر لحظة يا رورى. ما من أحد يعرف ما قد
تجلبه كلمة . سقطت الأوراق والزهور ولكن
الشجرة لم تمت .

رورى : (بحرارة) أو تظن ان التحدث مع هذه الأشباح
الرثة المبتذلة سيعيد رحمة الله أو جماله الى
كاثلين فى هوليهان ؟ .

أيامون : رورى . رورى . ان كاثلين نى هوليهان التى
تتحدث عنها لها ظهر امراة عجوز مقوس كما ان لها
مشية الملكة . نحن نحب كاثلين نى هوليهان المثالية
لا لأنها زائفة بل لأنها جميلة . ونحن نكره كاثلين نى
هوليهان الحقيقية لا لأنها صادقة بل لأنها قبيحة .

رورى : (باشمئزاز) أوه . بالله عليك يا رجل .

(يخرج بسرعة غاضبا)

ايدا : (تنادى وراءه باحتقار) عجل الله بك يا «أزعر» .

أيامون : (واضعا يده برفق على راس ايدا) فلننسه
ولنذكر أنفسنا ولنفكر فيما نستطيع أن نفعله
لننزع الراية من سفاسف الماضى ونرفعها على
مطالب الحاضر وحاجاته .

(المنظر الآن أصبح مظلما بحيث تبدو الأشياء غير واضحة فيما عدا البرج الفضي والعمود القرمزي البعيدين . وتبدو رأس ايامون في شعاع من الشمس وكأنها رأس «دن - بو» المقطوعة تتكلم من خلال الظلام) .

فينولا : ان أغاني أوشين وسيف أوسكار لن تستطيع أن تفعل شيئا لحمل هذه المدينة على التخلص من عارها .

ايامون : ياصديقتي قد نفعل هذا لتعيشي حياة أفضل. سنفعله ليعيش كل واحد منا حياة أفضل . ان اضرابنا لك أنت . خطوة الى الامام لنا اليوم . وأخرى لك غدا . نحن الذين عرفنا ونعرف تفاهة الحياة سنعرف كمالها . ان كل الرجال والنساء الذين يستشعرون الحياة .. يشوقهم أن يقتحموا طريقهم الى الأمام .

(الى ايدا) ان التفاحة تنمو من أجلك لتأكليها .
(الى ديمبنا) والبنفسج ينمو من أجلك لتلبسيه .
(الى فينولا) أيتها الفتاة الصغيرة ، ان عالما آخر في رحمك .

ايدا : (ببقية من الاكتئاب) سيلاحقنا الجنود بنار البنادق ويطير الشرطة رءوسنا بهراواتهم ، ويساق أبناؤنا وأزواجنا سريعا الى السجن ليستفرغوا أنفاس

حيـاتهم فى أماكن أكثر كآبة من تلك التى يعيشون فيها الآن .

أيامون : لا تجفلى من أول بادرة للمعركة . (يحول نظره عنهم ويحملق ساهما فى اتجـاه النهر) اسـتمدى القوة من روعة مدينتك الخفية (يشير بيده) أوه . انظرى انظرى هناك . لقد أسدلت السـماء رداء اخضر لامعا على كتفيها العاريتين ، مطرزا بالقرمز . والقت على راسها الجميل غطاء رقيق الحمرة .. انظرى .

(المنظر قد التمع وتنعكس عليهم الوان زاهية جميلة من اشعة الشمس الغاربة . البيوت الواقعة على شط النهر البعيد تميل نحو العالم المتطور وقد اصـطبغت باللونين البنفسجى والبرنزى اللامع ، والرجـال الذين كانوا مستندين الى جدرانها يقفون الآن فى شجاعة وكأنهم تمـاثيل جميلة من البرنز نقشت بالقرمز) .

أيامون : انظرى . ان العربات والشاحنات التى تتحرك عبر الأرصـفة قد صـبغتها الشـمس بالبرونز والأرجوان فبدت كعربات الحرب تتقـدم صـوب الجبهة .

(ايدا تقف فى الضوء فيبدو وجهها صبوحا شجاعا وهى ترتدى ثوبا اخضر غامقا وعباءة فضية على كتفيها) .

ايلنا : (ناظرة بانتباه امامها) خجولة جميلة ، كما أنها تتأهب للمعركة .

(تقف ديمينا الآن لتنظر حيث يشير ايامون . تلبس كملابس ايلنا ووجهها مشرق . ينزل الرجال من فوق اسوار الجسر كذلك لينظروا حيث يشير ايامون ، وجوههم مشرقة كوجوه النساء ، وكأنهم تماثيل برنز خططت بالأخضر الزاهى . تقف فينولا اخيرا وراء الآخرين بقليل لتشاهد المدينة فى سيمفونية الوانها . فينولا تلبس رداء اخضر ازهى مما ترتديه صاحبتاها ، وجونلة بيضاء مخططة بالأسود وحول وسطها كوفية فضية منسدلة)

فينولا : انها تلتمع كأغنية ينشدها أوشين بنفسه بمصاحبة الأنغام الذهبية المتصاعدة من قيثارة !!

الرجل الأول : (متحيرا) لابد أن شيئا عجيبا قد حدث لأنى ، وأشهد الله ، ما رأيتها مشرقة على هذا النحو من قبل أبدا .

الرجل الثانى : أنظر الى المتسكعين هناك وقد تحولوا الى رجال أقوياء من البرنز ، والبيوت نفسها تمرح فى الأرجوان والفضة .

الرجل الثالث : ان رءوسنا المنكسة لم تكن تلمح على الدوام الا مستوى أدنى من هذا بكثير .

ايامون : هناك قبة القاعات الأربع العظيمة تبدو كوردة ذهبيـــة في وعاء هائل من البرنز !! والنهر يجرى من تحتها كفيض من الأرجوان يرصعه حبب «من القرمز» ·

انظروا طيور النورس تســبح من فوقها وكأنها لآلىء قلقة بيضاء تتهادى فوق صدر ملكى · ان مدينتنا فى يد الرحمن !!

الرجل الأول : (بانفعال) يالله ·· انها رائعة !!

ايدا : فليبارك الله مدينتنا الى أبد الآبدين ·

أيامون : (يرفع يده اليمنى عاليا) يا أوطان الاوستمن والنورمان والغال ، انا نحييك · نحييك اذ تختلسين لحظة عابرة من الجمال فتضميهـا بشغف الى صــدرك اللاهث · (يغنى) :

أيتها المدينة الجميلة ، أقول لك ان أرواحنا لن تنام
فى سرر الطمع أو الكسب الدافئة ·
وان أيدينا ستمتد باذلة أقصى الجهد ،
حتى يسود فيك العجب والجمال

الجميع : (يغنون معا) :

نقسم أن نخلصك من الغضب والحسد ،

وأن نطرد الذئب المفترس والثعلب اجاكر خارج أسوارك،
حتى يقول الحكماء والسيدات والعـــذارى يا مدينـة الروعة ؛ ما اسعد حظك !!

أيامون ــ (يغنى) أيتهــا المدينـة الجميلة أقول لك

أن ضحكات الأطفال البيضاء وكل المرح الأحمر للشباب الجاد وقد غمرته المسرة ستجعل من دورك قيثارا وحشيا أبدى الأنغام تداعب أوتاره أنامل عاجلة لأطفال يمرحون .

الجميع : (يغنون) :

نقسم أن نخلصك من الجوع والعناء ،

ومن كل شيء قبيح متبذل حقير .

وسيبني شعبك باتحاده مدينة باسلة

هي أروع وأجمل ما رأته عين انسان .

(فينولا كانت تتمايل بجسدها مع ايقاع الأغنية والآن وبمجرد انتهاء الجزء الأخير تنطلق الى وسط الجسر وهي ترقص . اللحن يسمع من ناي يعزفه شخص ما في مكان ما وهو لحن راقص وقور بهيج يبدأ بطيئا ثم يسرع . يرقص ايامون حتى يقابلها فيرقصان وجهـا لوجه . الموجودون حولهما يصفقون على وقع اقدامهما . يتجولان في المكان وهما يرقصان، هي سابحة في بركة ذهبية من النور ، وهو في ظل بنفسجي ، كل حين وآخر يتبادلان مكانيهما فتصير هي في البنفسج وهو في بركة الذهب) .

ايلما : (بصوت مرتفع) ان أبهج الألوان التي خلقها الله تحيط بنا الآن من كل جانب .

فينولا : (وهى ترقص) ان سيف النور يلمع !!

الرجل الأول : (فى حماســـة) نحن جميعا أبناء وبنـات أمراء . وكلنا من نسل مايليزيوس (*) .

(ينتهى الرقص وايامون وفينولا يحوط كل منهما الآخر بذراعه)

ايدا : الحمد لله على نزعة الفرح فى قلب الشباب .

الرجل الأول : وعلى سرعة الساق والقدم فى قلب الرقصة .

الرجل الثانى : وعلى الحلم بأن يد الله لا تـــزال تقبض على كل شىء باحكام .

(يظلم المنظر قليلا . ايامون يخفف امساكه بفينولا ويرفع راسه ليصغى الى شىء ما ، يسمع على البعد صوت اقدام كثيرة فى خطوة منتظمة) .

فينولا : (فى شىء من القلق) ما الذى تصغى اليه ؟

ايامون : يجب أن أذهب . وداعا يا فتاتى الجميلة . وداعا.

فينولا : أذاهب أنت مبتعدا عن الأشياء الجميلة التى تلتمع من حولنا ؟ ألست أنا مقبولة الى الحد الذى يناسبك ؟

ايامون : (جادا) أنت جميلـة حين تظلين هادئـة .. وتفيضين بجمال أقوى حين ترقصين ، غير أنى لابد أن

(*) Milesius اسم أسطورى لملك من ملوك اسبانيا ينسب الى أبنائه أنهم غزوا ايرلندا حوالى سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد .

أذهب . أتمنى أن تتزوجي زيجة موفقة وأن تنجبي أطفالا فيهم من الجمال ما كان لايمر .. ومن الرقة ما كان لابن أوسكار . وأتمنى أن يكونوا شبابا عندما ترغى البيرة الأسبانية على كل يد ، ويصبح نبيذ البابا الملكى شرابا شائعا . وداعا .

(يقبلها ثم يذهب عبر الجسر ويختفى عن النظر عند شاطىء النهر البعيد . الأشباح الباقية تتضاءل قليلا . الألوان خبت بقدر كبير . ويبدو على الجميع القلق والحيرة . يعود المتسكعون الى جدران البيوت ، ومع انهم يضطجعون عليها فانهم يقفون بجانبها كما لو كانوا يتخذونها وقاية، سكوت طويل نوعا قبل أن يتكلم أحد . يقفون متفرجين كما لو كانوا خجلين من صحبة كل منهم للآخر) .

ايدا : (تدمدم) الواحدة ببنس ... التفاح الناضج . من الذى تكلم هذه المرة ؟ وحق المسيح لا بد أنى كنت أحلم .

ديمبنا : (فى صوت مرتبك) وأنا كذلك ، حسبت نفسى غارقة فى عاصفة من المرح ومن مختلف الألوان وقد تزينت بأفخر الثياب .

فينولا : (متحيرة حالمة) لا بد أنى كنت أحلم حين سمعت كلمات غريبة فى مدينة تكاد النجوم تتخمها ، ويد الله

تهدينا سبيلنا على شاطىء نهر أرجوانى ، وكلنا نرتدى ثيابا جديدة ، قادرين على أن نستخف أوشين ليغنى أنشودة عربيدة لرقصة تخفى خطاها عن العيون ٠

ايدا : (تدمدم فى ضجر) أستحلفك بالله ان تنتهى من التفكير فى الأغانى القديمة التى غناها أوشين كما لو كنت تشعلين نار المجد حول عصفور على حافة بركة ، يغرد بصوت مبحوح فى زاوية آمنة من شارع تعصف فيه الريح (وقد غلبها النوم) هنا البنفسج الندى الحزمة ببنسين فقط ٠٠٠ ياالهى ٠٠٠ أقصد التفاح ٠

(الآن يسمع وقع الخطوات المنتظمة بوضوح)٠

ديمبنا : (متيقظة قليلا) ببنسين الواحد ٠٠٠ حزمة البنفسج ٠٠٠ ماذا يمكن أن يكون هذا ؟

الرجل الأول : (باكتئاب ولكن بنبرة تحد) صوت أقدام الجنود السائرين ليمنعوا اجتماعنا ويوقفوا اضرابنا ٠

الرجل الثانى : (فى عزم مفاجىء) سننفذ الاثنين على الرغم منهم ٠

(يشتد ظلام المنظر الآن ٠ سكوت بعد كلمة الرجل الثانى لا يسمع فيه الا صوت الأقدام ثم فى خلال هذا الصوت المنذر تسمع أصوات تغنى بهدوء ، قد تكون أصوات أولئك الذين على الجسر او حوله او اناس آخرين يغنون فى مكان ابعد قليلا ٠

الأصوات : (تغنى بهدوء)

نقسم أن نخلصك من الجوع والعناء
ومن كل شيء قبيح مبتذل حقير
وسيبنى شعبك باتحاده مدينة عظيمة
هى اروع واجمل ما رأته عين انسان •

•• ستار ••

الفصل الرابع

(جزء من الفناء المحيط بكنيسة القديس برنابا البروتستانتية • والفناء ليس بادى الجمال لأنك فى وسط حى فقير يلفه الدخان ، ولكنه منسق ، وبالنسبة لما يحيط به يعتبر منظرا لطيفا • السور الحديدى المقام فى الخلف تكاد تغطيه نباتات ذهبية خضراء ، فيما عدا وسطه ، حيث تقوم بوابة خشبية واسعة بعض الشىء تؤدى الى الفناء • خارج هذه البوابة فى الشارع يوجد أحد مصابيح الشوارع • هنا وهناك بضع شجيرات ، وفى الزاوية اليسرى قرب السور توجد أشجار مزهرة من الليلق والوزال •

الى اليمين سقيفة الكنيسة وجزء من حائطها الجنوبى فيه شباك طويل ضيق تشاهد فيه بالزجاج الملون صورتا القديسين بطرس وبولس • على مسافة من السقيفة توجد شجرة كمثرى مزهرة أيضا يعارض بياض زهورها صفرة الوزال الفاقعة وزرقة الليلق البنفسجية •

بقية الفنـاء مزروعة بالحشيش فيمـا عدا الطرقة المؤدية من البوابة الى مدخل الكنيسة •

الوقت أمســــية دافئة مشمسة ، ليلة أول الخماسين • والقسيس جالس على كرسى بحر أمامه منضدة عليها كتب وأوراق • واضح أنه يعد للصلاة التى ستقام فى الكنيسة فى اليوم التالى •

يرتدى القسيس عباءة سميكة سوداء مبطنة بقماش احمر ، وهو يردد بيتا من ترنيمـــة بصوت هادىء ويقيد ملاحظات فى ورقة امامه على رأسه طاقية مربعة •

القسيس : (يغنى لنفسه بصوت هادىء) :

وكما قمت من قبرك المخيف
فلنقم نحن ونقف لنكافح
قوى الشر والجنون
نرجوك ياالله •

(يخرج الشماس من السقيفة مقبـــلا نحو القسيس • رأسه أصلع كالبيضة ووجهـــه المصفر مسقوع يبدو فيه البؤس • وهو فى سن الستين وشكله يدل على ذلك • فوق ملابسه العادية عباءة سوداء طويلة من قماش

خليف بها قطع من القطيفــة القرمزية على الكتفين) ٠

القسيس : (يخبر الشماس الذى بجواره) الترنيمة رقم ٦٢٥ ، يجب أن تكون هى ترنيمة الافتتاح ياصامويل ٠

صامويل : سيتم ادخالها ياسيدى ٠

القسيس : كما تقول ٠٠٠ سيتم ادخالها ٠ هل تريد أن تتحدث معى ياصامويل ؟

صامويل : معذرة ياسيدى فيما أريد أن أقوله :

القسيس : (مشجعا) نعم نعم ياصامويل ٠ تكلم ٠

صامويل : (فى غموض) أمر على وشك الحدوث ياسيدى ، لا أحبه ٠

القسيس : : أوه ، وما ذلك يا سام ؟

صامويل : كان مستر فوستر هنا صباح اليوم يقلب زهور النرجس التى أرسلت بمناسبة عيد الخماسين ، ووجد شيئا لا يحبه ٠

القسيس : نعم ؟

صامويل : ليس من حقى أن أعلق على أى شىء يجرى أمامى ، أو أن أطلق كلمة ماكرة عن الأمور التى يفعلها أو يقولها أو يفكر فيها الرعاة أو الرؤساء أو الشخصيات الكنسية

الأعلى · ولكن أحيانا يجيء الوقت الذى يتعين فيه على الرجل المخلص أن يقول ما عنده ·

القسيس : (متنهدا) وقد حان الوقت لقول شيء ما ··· ماذا هو ياسام ؟

صامويل : (فى شبه همس) هذا الصباح ياسيدى ، وشمس الربيع العزيزة تضيء خلال أثواب بطرس الصفراء ، وأثواب بولس الأرجوانية ، وأنا أرتب الكتب على المناضد ، من تظن أنه دخل متلصصا ؟ أنظر وتعجب ··· فوستر ودوزارد ··· ليلقيا نظرة حول المكان ، ولما كانا من أعضاء مجلس الكنيسة المختارين لم أستطع أن أسألهما عن سبب تلصصهما فى هدوء الكنيسة فى صباح يوم عادى من أيام الأسبوع ·

القسيس : (بصبر) نعم ، ولكنك منذ فترة طويلة ذكرت شيئا عن زهور النرجس ·

صامويل : سأصل اليها رمحا ياسيدى ·

القسيس : عال جدا ··· فلنسمع ما يتعلق بالنرجس ·

صامويل : عندما رأيت المتعسسين وقد اقترب رأساهما وهما يتهامسان ، قلت آها ··· لابد أن فى الأمر شيئا ·

القسيس : هل ماتريد أن تخبرنى به مرتبط بدوزارد وفوستر ، أم بالنرجس ؟

صامويل : انتظر حتى تسمع · سيكون ديزارد وفوستر في المقدمة أحيانا ، والنرجس أحيانا أخرى · ماذا يمكن أن يكون وراء هذين الفظين ؟ قلت هذا لنفسى ودلفت الى حيث كانا فى دمدمة بترنيمة ·

القسيس : دمدمة بترنيمة ؟ يسرنى أن أسمع هـذا ، لأنه يدهشنى أن أسمع أيا منهما يدمدم بترنيمة ·

صامويل : أنا يا سيدى الذى كنت أدمدم بترنيمة ، لأننى أحب فى الكنيسة أن تتمشى أفكارى مع العمل الذى أؤديه ، ولعلك تفهم ما أقصد ·

القسيس : (فى صبر نافد) سيحل الليل قبل أن نصـــل الى النرجس ·

صامويل : انتظر حتى تسمع يا سيدى · هناك كنت أقترب منهما رويدا رويدا واذا بفوستر يســـتدير نحوى صائحا : « هل ستشترك فى تعليق الرموز البابوية على كنيسة بروتستانتية ؟ »

القسيس : رموز بابوية ؟

صامويل : النرجس يا سيدى ·

القسيس : النرجس ؟ انه بكل بساطة يشـــير الى الحياة الجديدة التى يهبها الربيع · ونحن نربطه بطريقـــة رمزية ؛ وببراءة تامة ، بقيام سيدنا المبارك · ثم أنه

رمز جميل : زهور النرجس التى تجيء قبل أن يجرؤ
طائر البجع على الظهور ، وتتلقى رياح شهر مارس
بجمالها . هذا قول شيكسبير ياسام .

صامويل : (يرفع عينيه للسماء ويشـــير الى أعلى) أرفع
بكثير من طاقة مسكين مثلى يا ســـيدى . (ينحنى
على أذن القسيس) عندما رأى الصليب الذى صنعه
برايدون من زهـــور النرجس كاد أن يجن جنونه
(ســـكوت كما لو كان صامويل ينتظر أن يتكلم
القسيس ولكنه يظل صامتاً) الله يعلم ماذا ستكون
النتيجة لو وضـــع على مائدة العشـــاء الربانى .
(سكتة قصيرة) هل سيوضع هناك حقا باسيدى؟
ألا يبدو أكثر براءة على المنضدة يا سيدى ؟

القسيس : (فى لهجة حاسمة) سأضعه بنفسى أمام منضدة
العشاء الربانى ، واذا سأل مستر فوستر أو مستر
دوزارد بشيء آخر عنه فقل اننى أنا الذى وضعته ،
وتذكر أنك اذا قلت مستر فوســـتر ومستر دوزارد
فلتقل مستر برايدون أيضـــا (يناول بعض الأوراق
لصـــامويل) وزع هـــذه على المقاعد من فضـــلك
يا ســـام . انتهى ترتيب وضع الأزهار ، أليس
كذلك ؟

صامويل : نعم يا سيدى ؛ كلها ما عدا الصليب .

القسيس : سأتولى هذا بنفسى . شكرا يا سام .

(يخرج صامويل الى الكنيســـة • ويستند القسيس الى ظهر مقعده في يده كتاب وهو يغني بهدوء)•

القسيس : (يغني) :

فلتنته المعجزات عندما تلين قلوبنا
أو نعبد الجلال في اسمك •
فليكن حب الانسان جماع شهرتنا
نرجوك يا الله •

(يتوقف لحظة وهو يفكر • ترى مسز برايدون قادمة من ناحية السور • تدخل من البوابة وتصل الى القسيس وشيلا في صحبتها ، ولكنها تتراجع قليلا الى الخلف عندما تدخلان الفناء • يقوم القسيس بسرعة من كرسيه ليحيي مسز برايدون) •

القسيس : (بحرارة) ياعزيزتي مسز برايدون • أليس الجو رائعا اليوم ؟ ان الجو يبشر بيوم خماســين جميل •

مسز برايدون : سيكون جميــلا اذا بشرت أشياء أخــرى مع الجو •

القسيس : علينـا أن نتذرع بالصـبر والأمـل الفســيح يا صــديقتي • فمن احتــكاك الحيــاة تولد حيــاة جــديدة •

مسز برايلون : وغالبا ما تموت الحياة الجـديدة بدورها في الاحتكاك • آه • عندما يجيء ولدي يا سـيدي قل الكلمة التي تحفظ عليه أمنه في البيت أو هنا •

القسيس : (يضع يده برفق على ذراعها) أتمنى أن أستطيع يا صديقتي العزيزة ؛ أتمنى أن أستطيع •

مسز برايلون : ان عقله ، كعقل أبيه المسكين ، يكره كل مايراه زائفا • والأشياء الزائفة أشياء قوية ، تحتشد وراء ظهورها العريضة مدافع تنطلق ، وسجون كبيرة تخفي أعداءها ؛ ومشـانق عالية تخرس الشـباب الذين يرفعون صـوتهم في وجهها عند ما تسـكت الحجـارة •

القسيس : دعي أولئك الذين يجدون ملجأ أمينا في رحبة الأسقف أو ثوب النبيل أو رداء القـاضي القـرمزي وفروه ، دعيهم يقولوا له : هذا الشيء لا ينبغي لك أن تفعله • أما أنا فـلا أفعل هـذا لأن الحكمة قد تصدر أحيانا حتى من أفواه الأطفال الرضع •

شيلا : اذا كان ما يواجهه بمثل هذه القوة فهو عاجز • ولذا فلندع هـذه القوة تمضي في طريق سـطوتها المظلم ، وليبق أيامون آمنا في عقر داره •

(الى اليسار في الطريق خارج السور يظهر المفتش في زيه الكامل ، وقد حضر بالطبع لرؤية القسيس • الى اليمين يظهر ايامون

ووراءه الرجال والنساء الذين شوهدوا فى المناظر السابقة • يتقابل هو والمفتش عند البوابة • يتوقفان • يظهر المفتش أنه سينتظر ايامون حتى يمر فيدخل ايامون متجها نحو القسيس • يدخل المفتش ولكنه يقف على بعد بجانب السور • الرجال والنساء ينتشرون على طول الطريق الخارجى يراقبون الذين فى الداخل عبر السور • يقفون الآن منتصبى القامات • لا تزال وجوههم شاحبة ولكنها مشربة بالعزم وكل منهم يحمل فى صدره شمسا ذات اشعة ذهبية • يدخل بريثان ويعبر الحشيش ثم ينتحى فيجلس على عتبة السقيفة) •

القسيس : (وهو يصافح أيامون) آه ؛ كم أنا مسرور لمجيئك • آمل أن تبقى •

ايامون : (بسرعة) جئت ولكن لأذهب • هل وصلك صليب النرجس ؟

القسيس : جاءت به أمك الينا سيعلق أمام أعظم عهود كنيستنا • تعال وعلقه هناك بيديك الأمينتين يا أيامون •

المفتش : يدان أمينتان مشغولتان بخرق القانون بالعنف وتشويش الهدوء والنظام • وفى سبيل ماذا كل ذلك ؟ فى سبيل مالا يساوى أكثر من أجر مسح

حـذاء أو ثمن قطعة من زجاج لاصـلاح شـباك مكسـور !!

برينان : (من مكانه على عتبة السـفيفة) انه على حـق يا أيامون يا ولدى ؛ على حق ، النقود هى أساس كل الشرور .

ايامون : (للمفتش) الشـلن قليل عنـدك ، وأقل عند كثيرين . أما بالنسبة لنا فهو نبراسنا الذى يرينا أن نور الله قريب ، ويرينا الطريق الذى يجب أن تسلكه أقدامنا . أنه شعاع من الشمس على وجوهنا ، والخطوة الأولى فى مسيرة تبلغ الألف ميل .

المفتش : (مهـددا) أسـجل هنا تحذيرا وحيـدا هو أن القائمين على السلطة سيعطون اليوم درسـا يذكره كثيرون الى الأبد . ولو أن بعض المجانين قد لا يبقون على قيد الحياة ليحفظوه .

مسز برايدون : ابق هنا يا ولدى حيث السلامة شـجرة خضراء ذات طلع رحيم .

الرجال والنساء : (معا .. عبر السور) سيأتى معنا .

شيلا : ابق هنا حيث تمر ساعات الزمن خفافا ناعمة ؛ وتتسـاقط الأيام وديعـة كتسـاقط الوريقات من الزهرة ، ويتحول الشعر الأسود الى المشيب غـير ملحوظ .

الرجال والنساء : سيأتي معنا ·

ايامون : (يلتفت ناحيتهم) أنا ذاهب معكم ·

المفتش : (بعنف) قبل أن تذهب لتنفيذ كل ما استقر عليه ذهنك المشتعل أحذرك للمرة الأخيرة من أن اليوم ستنطلق الخيل السريعة فى جريها وتشرع السيوف من أغمادها ·

القسيس : (للمفتش موبخا) أرجو انك أنت على الأقل لن تجد سببا لاطلاق خيلك ·

المفتش : (بجفاء) سأؤدى واجبى يا سيدى ، ولعله يكون من الخير أن يقوم شخص نعرفه جميعا بواجبه فى ذلك الجانب من الحياة الذى شاء الله أن يسخره له ·

القسيس : (غاضبا) أوه، اللعنة يا رجل، عندما تستشهد بأقوال الكنيسة لا تحرفها · ليست « الذى شاء الله أن يسخره له » بل « الذى سوف يشاء الله أن يسخره له » ·

المفتش : (غاضبا مثله) اللعنة يا رجل · هل تعتقد أن ما يفعله هذا الشخص الآن هو جانب الحياة الذى شاء الله أن يسخره له ؟

القسيس : (بحرارة) أنا لا أملك السلطة ولا المعرفة لانكار هذا ؛ ولو أن لى من كلتيهما فوق ما لك يا سيدى !!

(يتاهب المفتش للرد بغضب ولكن شيلا تمسك بذراعه) •

شيلا : أوه ، امح من ذهنك ما تريد أن تقوله من أشياء أكثر غلظة ، وابذل جهـدك فى انقاذنا من مأسـاة أخـرى •

المفتش : (يزيح يد شيلا بخشونة ويتجه نحـو البوابة ثم يلتفت ليتكلم) تذكروا جميعـا عندمـا تشرع السيوف وتهجم الخيل فان القانون العطوف المتخم بالتردد يغشى عليه فلا يرى ولا يسمع ولا يأبه لما قد يقع •

مسز برايدون : (بغضب •• للمفتش) انظر الى هذا العالم الكروى أيها الرجل بكل عجائبه التى صنعها الله خفاقة فيه ، ماذا تكون أنت من بينها واقفا هنا أو على صهوة جواد منطلق ؛ غير مجرد قطعة ذات شرائط وشراريب !!

(يسرع المفتش خارجا ثم يقف وراء السور الى اليمين • يتراجع الرجال والنساء فزعين ليمر من امامهم) •

مسز برايدون : (لأيامون) سر فى طريقك يا ولدى وليكن لك النصر • مرحبا بقيد أنملة أخرى من فعل الخير فى هذا العالم •

القسيس : (يصافحه) اذهب ، وليسدد الله خطاك (يبتسم) ان نباح المفتش أعلى من عمق عضته .

ايامون : مؤقتا .. وداعا .

(يخرج ايامون مسرعا من البوابة ثم يقف وراء السور الى اليسار ويلتفت ليلقى نظرة اخيرة على المفتش) .

المفتش : تراجع يا ولدى عندما ترى الخيل هاجمة .

(ينصرف ناحية اليمين وينصرف ايامون ناحية اليسار ووراءه الرجال والنساء . سكتة قصيرة) .

القسيس : (بسرعة .. ليمحو احساسا كئيبا) والآن يا مسز برايدون أسرعى الى قاعة الصلاة . وأعدى لنا فنجانا طيبا من الشاى .. أنا فى أشد الحاجة الى فنجان .

(لشيلا) سترافقيننا ، أليس كذلك ؟

شيلا : (تقلق فجأة) أوه ، لا ؛ شكرا .. أنا .. أنا لا ينبغى لى حتى أن أكون هنا . أنا كاثوليكية كما تعلم .

القسيس : أعلم هذا . وأنا آخر من يطلب منك فعل شيء لا ينبغى لك . ولكن كونى على يقين من أنه لا يوجد قانون كنسى يمنع تناول الشاى الذى يصنعه

بروتستانتى . اذهبى فعاونى مسز برايدون .
سألحق بكما بعد لحظة .

(شيلا ومسز برايدون تخرجان من الناحية الجنوبية للكنيسة .

بريئان : (والقسيس يجمع كتبه وأوراقه من على المنضدة) هوه يا سيدى . أنت هناك يا سيدى ؟ لعل هذا الاضطراب لن يمزق مجتمعنا كله ، أليس كذلك ؟

القسيس : أرجو ألا يحدث هذا .

بريئان : (بضحكة مصطنعة) لا لا ، بالطبع لا . سيبقى بنك أيرلندا قائما .. اه ؟ نعم بعضهم يتضور لاقتحامه .. اه ؟ نعم نعم . أبواب حديدية .. الأبواب الحديدية من الصعب فتحها .. اه ؟

القسيس : (منصرفا لتناول الشاى) أظن هذا .

بريئان : نعم انها كذلك . يظن هذا .. مجرد ظن .. يا لك من رجل مسئول !!

(يدخل الشماس فينحنى على بريئان) .

صامويل : (فى صوت مبحوح) ادخل وألق نظرة على صليبنا الفخم .

بريئان : صليب ؟ أى صليب ؟

صامويل : صليب من زهور النرجس لعيد الخماسين ، سيوضع أمام مائدة العشاء الربانى .

بريتان : أعمال بابوية والله !!

(تسمع ضجة على بعد قليل يتبعها صوت تساقط وابل من الحجارة)

بريتان : ما هذا ؟ ما الذى يجرى ؟

صامويل : (يذهب الى الوراء وينظر الى الشارع) جمع من الناس يقذفون الحجارة .. يرجمون بها رجلين يهربان بحياتهما .

بريتان : (بعصبية) فلندخل الى الكنيسة بسرعة لقد بدأ الاضطراب فعلا .

(يدخلان الى الكنيسة ويقفل صامويل الباب . تسمع ضجة صادرة عن زحام . يمر خارج السور نساء ورجال بينهم ايدا وفينولا وديمبنا وعمال السكة الحديد والمتسكعون الذين شوهدوا على الجسر . يحمل قائدهم علما احمر . الكل يسيرون فى عزم ويغنون) .

قادة المظاهرة : (يغنون) :

اذا لم نستطع اطلاق بندقية فبوسعنا اطلاق حجر
حتى تتبخر حياة الأجرب مع الأنين .

الجميع : (كورس) :

فلتغرق فيما أقول ،

ولأقلها مرة أخرى ..

ولو أن الله هو خالق الأجرب القبيح فهـو كذلك بلا شك خالق الرجال !!

القادة : (يغنون) :

الشرف الوحيد الذى سيناله هو ريشة سوداء مغبرة على رأس الحصان الذى يجره الى القبر .

الجميع : (كورس) :

فلتغرق فيما أقول

ولأقلها مرة أخرى :

فلتكن كلاب الأجرب هى العمال والكتاب والشمعة والجرس !!

(يمرون ثم يختفون . بعد قليـل يدخل دوزارد وفوستر يجريان مخترقـين البوابة مندفعين الى سقيفة الكنيسة .

دوزارد رجل ضخم بدين أحمر الوجه تتدلى طيات من لحمه على ياقة سترته . رأسه ضخم أصلع مع خصلات شديدة السواد خلف أذنيه طرف صغير منها ممشط الى أعلى فوق جبينه.

اما فوستر فضئيل ضامر يكمن العدوان على الدوام في وجهه السقيم متحفز للانطلاق عند اقل فرصة . خداه وشفتاه حليقان ولكن اطرافا من لحيته صفراء تبرز متحدية من تحت ذقنه . صوته كالصراخ وعندما يقوى بسبب الغضب يرتفع الى عويل كالصفير . كلا الرجلين يلبس الزى الرسمى لرؤساء عمال السكة الحديد . قماش ازرق بأزرار فضية وشريط فضى على قبعة دوزارد المدببة الطرف وأساور اكمامه ، وشريط ذهبى بالنسبة لفوستر . سترة كل منهما مزررة بالكامل . يخلعان قبعتيهما ويمسحان العرق من جبينيهما . يدفع دوزارد الباب) .

دوزارد : نحن فى أمان هنا فى الفناء . فناء الكنيسة مقدس . أوغاد ؛ حشرات سائبة ... بابويون كلهم !!

فوستر : (مغلولا) وأحد قادتهم شماس مختار ، وذلك القسيس الواقف بجانبه.. غارقون فى البابوية.. علامة الصليب .. متجهون الى الشرق يرددون الآيات ويغنون الترانيم .. والله انها فضيحة علنية !!

دوزارد : أصابت بعض حجارتهم أذنى .. ما كان ينبغى ان نلبس الزى الرسمى .. كشفنا .. عرفت أننا وقعنا عندما قالوا عنا : « جربانين » .

فوستر : هم « الجربانون » ·· هباب ·· أولاد حرام ·· حشرات · اسـمع ·· أنا مستعد لأن ألبس زيى الرسمي في الفاتيكان (يفك أزرار سترته ويرى أنه يلبس تحتها حـزاما برتقاليا فاقع اللون بأطـراف زرقاء) هذا حزامى لكل من يشاء أن يراه · كان يجب أن تثبت معى يا رجـــل كتبات أبطـال دالى براى ! !

دوزارد : (صائحا وهو يطرق الباب) انت هناك ·· هناك في الداخل ·· أخـرج ·· افتـح الباب المقصوف وساعد رجلا على وشك الموت ··

(يفتح باب الكنيسة ويخرج منـــه القسيس يتبعه الشماس وبريثان)

القسيس : ما هى المصيبة ؟ ما الذى حدث ؟

دوزارد : بلطجية البابا قذفونا بالأحجار بأقصى شدة · الرجـال الأمناء الأفاضـل المستقيمون المخلصـون للقانون والدستور قد رجموا اليوم بالأحجار البابوية ·· آه يا رأسى المسكين ·

فوستر : ان يوم سانت بارتلوميو يوشك فجره أن يعـود للظهـور ، هـذا ما أقوله لـكم ؛ وسـتغطى جثث البروتستانت المشوهة كل الشوارع ·

القسيس : لا يمكن أن تكون اصابتك بالغة اذا كنت تشكو بهذه الضخامة ··

فوستر : قف في صف العصبجية بالتقليل من شأن اصاباتنا .. افعل هذا .. نعم افعله . (يلاحظ برينان الذى وصل الى البوابة ويوشك أن يخرج) أوه ، أنت .. ألا تريد البقاء لتثبت كمال العقيدة البروتستانتية ؟

برينان : (في شيء من السخرية) بلى ؛ أريد بل أرحب لولا أن على أن أذهب لأننى فى مثل هذه الساعة من كل يوم من عادتى أن أكون منهمكا فى قراءة سورة من كتاب الله حتى لا أتعلق بالشئون الدنيوية تعلقا شديدا .

(يخـرج)

فوستر : (بعنف) بروتستانتى « خرع » !! (للقسيس) اسمع ، أقول لك ان نيران سمثفيلد سوف تشتعل حول أجساد البروتستانت مرة أخرى وسوف ترفع الأنوار الملونة فى نوافذ الفاتيكان حالا .

دوزارد : وسنكون نحن أول من تطعمه النيران .

القسيس : (ضاحكا باحتقار) كلام فارغ . أوه ، كلام فارغ .

فوستر : (وهو يصرخ تقريبا) انه ليس كلاما فارغا يا رجل ، كل جزويتى يلبس السواد قد خرج يسير مقهقها يضم قبضتيه لينقض على كل رجل مثلى هنا ،

ومثل ادى دوزارد هناك ؛ ليقيد منا الرأس واليد والقدم بالأغلال ، لنوضع فى آلات التعذيب الجهنمية ، ثم ينتهوا بنا الى المحرقة ليتلهوا بنا على طريقة الرومان • لقد خرج الشباب المخلصون ليخوضوا معركة أخرى مع رجال الملك بولى !!

القسيس : (متسليا) طيب • فلينه الشباب المخلصون ورجال الملك بولى المعركة فيما بينهم • ان مشاغلى الكثيرة تمنعنى عن ان أنضم الى أى الجانبين • وداعا •

فوستر : (يمسك بذراعه وهو ذاهب •• مشاكسا) انك لن تفلت ذاهبا بمثل هذه السهولة الآن بضميرك المثقل يا رجل • هناك أشياء يجب فعلها ، وأشياء يجب عدم فعلها فى كنيستك هناك ••• نعم ••• نعم •

القسيس : (فى هدوء) أحقا ؟

فوستر : (غاضبا •• لدوزارد) أوه •• تكلم •• قل كلمة يا رجل ولا تترك الأمر كله لى •

دوزارد : أولا ؛ يا سيدى ، نريدك أن تطرد برايدون من الشماسة ومن الكنيسة •

القسيس : أوه ؛ أحقا ؟

فوستر : (يكاد يصرخ) انها ليست « أوه ؛ حقا » • أجب على السؤال •• بوضوح •• نعم أم لا •

القسيس : (ببرود) أيها السادة • مستر برايدون سيبقى فى الشماسة حتى ينتخب أفراد الأبرشيه شخصا غيره • أما بالنسبة للكنيسة فقد رأى الله من المناسب أن يجعله من أتباع المسيح ، وليس لى ؛ ولا حتى لكم أيها السادة ، أن نقول ان الله قد أخطأ •

دوزارد : (مستهزئا) ومتى حدثت هذه المعجزة ؟

القسيس : عند تعميده • وهذا مالا بد أنكم تعلمونه •

فوستر : بابوية •• بابوية •• لاشيء غير البابوية •• المكان موبوء بها !!

(يظهر الشماس عند باب السقيفة وصليب النرجس فى يده وهو على الطراز الكلتى ، المحور مصنوع من الزهور والدائرة من الأوراق الخضراء الزاهية • الشماس يريه لدوزارد من وراء ظهر القسيس فيتجه اليه دوزارد ويأخذه منه • يعود الشماس الى الكنيسة)

القسيس : والآن أرجوك أن تطلق ذراعى يا مستر فوستر •

(يسمع على البعد صوت نفير معلنا الهجوم • فوستر يطلق ذراع القسيس • يصغون جميعا) •

فوستر : (مسرورا) ها ها •• ها هو النفير يعلن الهجوم ،

وسرعان ما يطأ رجال الملك وخيل الملك المتظاهرين تحت أقدامهم · القانون والنظام فى الدولة ، والقانون والنظام فى الكنيسة ، يجب أن تنالهما ؛ ونحن نقاتل هنا كما يقاتلون هم هناك ·· من أجل التاج والحرية المدنية والدينية ·

(يسمع صوت الخيل الرامحة تتبعه عدة زخات من طلقات البنادق · يصغى الجميع لحظات)·

فوستر : (مبتهجا) أتسمع هذا الآن ؟ ان بريتان تابعك سينقض هنا فى الحال على الكنيسة لتخبئه ·

القسيس : فليحل صليب المسيح بينه وبين كل أذى ·

دوزارد : (يتراقص أمام القسيس حاملا الصليب وهو فى ذروة الفرح) الصليب ·· رمز بابوى !! انظر أتراه ·· رمز بابوى يرفع فى وجه الشعب البروتستانتى !!

(يصرخ) ياللهول !!

فوستر : (بغل) لن أقيمه ·· لا ·· لن أقيمه · انظر ، ان السخط الذى أثار القديس لوثر يثيرنى!! هيا·· اعطنى هذا · (يخطف صليب الزهور من دوزارد ويقذف به على الأرض ويرقص عليه) الانجيل فوق التاج !! الاثنان والنصف ·· البرتقالى والأزرق ·· ورموز البابوية تحت أقدامنا البروتستانتية !!

دوزارد : (بوحشـية) الطبـول ؛ الطبـول ؛ الطبـول البروتستانتية ·

(فى اثناء رقص فوستر ودوزارد ونطقهمـا بالعبارات الأخيرة يكون الرجال والنساء قد جروا مذعورين فى الطريق وراء السـور · القادمون من اليسار يستديرون ثم يتابعون الجرى نحو اليسار مرة اخرى يسبق بعضهم بعضا · يرون فجاة الرجال والنساء الذين يجرون خلف السور ويندفعون فى الحال نحو الفناء ويكادون يوقعون القسيس)

فوستر : (وهم يندفعون ·· للقسيس) ابتعد عن طريقهم يا رجل ·· ابتعد ·

(بعد سكتة تقل ايدا وهى تجرى من خلال البوابة الى الحديقة نحو القسيس)

ايدا : (متوسلة) أوه ، سيدى ، أرجوك دعنى التجىء الى الكنيسة حتى ينتهى هذا القتال ·· فلا أمان فى أى مكان والجنـود يطلقون بنادقهم والشرطة يعملون هراواتهم بجنون ·

القسيس : (يطمئنها) اطمئنى واهدئى ··لن يمسوا امرأة · فهم ما زالوا رجـالا مهما يكن اهتياجهم فى هذه اللحظة ·

ايدا : لك الجنة على بساطتك !! كان لابد أن تراهم وهم

يضربون الرجال والنساء والأطفال · وصديقتي أنا
ديمبنا في المستشفى وقد شدت على وجهها الأربطة
كما يشد الحذاء بالرباط · كل هذا بسبب السير
وراء هذا الأحمق المجنون برايدون !!

القسيس : ادخلى اذن (للشماس الذى ظهر فى المدخل)
اسهر على سلامتها

(تدخل ايدا والشماس الى الكنيسة · تقبل فينولا ببطء على الطريق وراء السور وهى تتعلق بقضبانه اثناء سيرها خطوة فخطوة · عندما تصل الى البوابة تسقط وتلتفت بوجه مخطوف مشوه الى الواقفين فى الفناء) ·

فينولا : (متألمة) بالله عليكم ليخبرنى أحدكم هل نيافة
« لا أعرف ماذا كلينتون » هنا ، أم على أن أزحف
مسافة طويلة أخرى ؟

القسيس : (يسرع نحوها) انه هنا ؛ أنا هو يا امرأتى
الطيبة · ما الذى تريدينه منى ؟

فينولا : معى رسالة لك من ايامون برايدون ·

القسيس : (بلهفة) نعم نعم · أين هو ؟

فينولا : لقد ذهب ·

القسيس : ذهب ؟ الى أين ؟

فينولا : ذهب ليلقى الله ، على ما أرجو ·

(سكوت طويل نوعا)

القسيس : (بصوت منخفض) فليرقد فى سلام • وما هى الرسالة ؟

فينولا : نعم لقد همس بها فى أذنى عند ما خرجت روحه من ثقب رصاصة فى صدره •• الجنود ، الجنود • قال : ان اليوم ما هو الا عمل يوم انتهى وسيبدأ مرة أخرى غدا • عليك أن ترعى المرأة العجوز • وهو يريد أن يرقد فى الكنيسة الليلة يا سيدى • لقد أصبت فى خاصرتى ؛ لحقتنى رجل حصان مندفع فانكفأت على الأرض •• لقد أرسـل اليـك وداعا عاجلا طويلا • أوه بحق المسيح أعطونى شربة ماء • (يجرى الشماس ليحضر الماء) ومع هذا فقد ثبتنا ثباتا رائعا • (يعود الشماس بالماء فتشرب) الآن يمكننى أن أنال بعض الراحة آخر الأمر •

(تمدد جسدها على الأرض)

القسيس : أين تركته ؟ أين يرقد الآن ؟

(تظل راقدة دون اجابة • يلتقط الصليب المهشم فى اسى ويظل صامتا لحظات وراسه منعكس حزنا)

أوه يا ايامون ، يا ايامون يا صـــديقى العزيز ؛ اللهم افتح عينى لأراك ؛ ولو كناظر من خلال زجاج معتم ؛ فى كل هذه المصيبة وهذا الأسى •

(يسدل الستار دلالة على مرور بضع ساعات• عندما يرفع مرة اخرى يكون المساء قد حل •

المصباح الذى على باب السقيفة مضاء ، وكذلك الكنيسة ، الضوء يشع من ثوب القديس بطرس الأصفر وثوب القديس بولس الأرجوانى خلال الشباك الذى فى حائط الكنيسة • ارغن الكنيسة يعزف لحنا جنائزيا فى غاية الهدوء• المصباح الذى فى الطريق خارج السور لم يضأ بعد • تبدو اشباح غامضة لرجال ونساء مصطفين على طول السور • مسز برايدون واقفة فى الفنـــاء قرب البوابة • فوستر ودوزارد واقفان على ســلالم السقيفة وامامهما بقليل يقف القسيس يوليهما ظهره وقد ارتدى الآن حلة كهنوتية بيضاء فوق ردائه وقميصه حول رقبته وعلى كتفيه وشاح رجال الدين القرمزى • شيلا تحمل باقة من الورد القرمزى فى يدها وتقف تحت شجرة الكمثرى • خلف الشجرة بقليل يقف المفتش بمفرده • يظهر مشعل المصابيح فى الطريق حاملا مشــعله المنتهى فى طرفه بزهرة صــغيرة من النار ، يشــعل مصباح الطريق ثم يقف لينظر عبر السور) •

مشعل المصابيح : ماذا هناك ؟ ماذا جرى ؟ ما الذى يجرى هنا ؟ ما الذى يفعله كل هؤلاء الآن ؟

الرجل الأول : يحملون جثمان برايدون الى الكنيسة •

مشعل المصابيح : أوه ، أهـــذا كل ما هنالك ؟ ظننت أن شيئا ما يجرى هنا •

الرجل الأول : لقد مات من أجلنا ·

مشعل المصابيح : اسمعوا هذا الآن !! وكلهم يلبسون أفخر ثيابهم ليرحبوا بعودته الى البيت ، أم ماذا ؟ أوه ، لابد للدنيا أن تسير ، ولذا فعلى أن أمضى ·· وداعا ·

(يخـــرج)

دوزارد : (مخاطبا ظهر القسيس) لآخـر مرة يا سيدى أقول لك ان نصف خـدام الكنيسة يعارضـون احضاره هنا · انهم لا يريدون أن يكون لكنيستنا شأن بهذا الاضطراب البشع ·

القسيس : (دون أن يتحرك وهو ينظر نحو البوابة) كل أمور الحيـاة ؛ الشر والخـير ، النظام والفوضى ؛ مشتبكة بحياة الكنيسة البروتستانتية على هـذه الأرض · نحن نكرم أخانا لا لما عساه قد حمله من خطايا ، بل للحق الذى كان دائما أمام وجهه · نحن لا نجرؤ على أن نجحده مغفرة الله ورحمته الأبدية لأنه لم يرفع علماً على أحد التقاليد التى اصـطنعها البشر ·

فوستر : (بوحشية) أوه ، اسمع ، أنا لست ممن يجلسون ليصغوا الى سيل متسـاقط من الكلمات ·· أتريد أم لا تريد أن تنزل على رأينا ؟

(يسمع على البعد مزمار قربة يعزف لحن ازهار الغابة · يتصلب جسم مسز برايدون وتطاطىء شيلا رأسها اكثر على صدرها)

القسيس : انه لشيء تافه أن ترهقني ، يبدو أنـك ترهق الهي كـذلك • تنـح عني وامض في طريق جهلك الأغبر ، ودعني أستقبل ذلك الذي سكن اضطرابه في بحـر عميق من النـوم والذي يقبل الآن كمياه شيلؤاه تجري منسابة تتغنى في أسى بالسلام •

(اثناء كلامه يتوقف العويل وبعد لحظة تظهر خشبة نعش عليها جثمان ايامون المسجى عند البوابة ، وتحمـل نحو الكنيسـة فيتقدم القسيس لمقابلتها)

القسيس : (مترنما) يا الهي ؛ لقد كنت ملاذنا من جيل الى جيل • وان يوما واحدا عندك بألف سنة ممـا نعد • (يغني) :

ان كل صراع اخينا المرير

خاضه من أجل حياة أكثر رخاء •

لهذا وأكثر منه •• أكرم مثواه •

يا يسوع يا ابن مريم استجب •

عندما يحمله تسارون في زورقه الى الشاطيء

ليرى أرضا لم يرها احد من قبل

كن أنت رائده الى الراحة الأبدية •

يا يسوع يا ابن مريم استجب •

(يحمل النعش الى داخل الكنيسة ، وعند مروره تضع شيلا باقة الورد القرمزى على صدر الجثمان) .

شيلا : ايامون .. ايامون .. يا حبيبى المسكين .

(يسبق القسيس النعش وتمشى مسز برايدون بجانبه الى الكنيسة على حين يبقى الجميع فى مكانهم . سكوت قصير)

دوزارد : من الخير لنا أن نذهب . هذا الرجل رومانى خبيث . راقب الرعاع الذين فى الخارج .

فوستر : (باحتقار) لم يبق فيهم قدرة على القتال الآن . لن أغفر لذلك المفتش لأنه رفض أن يعزز طلبنا .

(يخرجان من البوابة ويختفيان فى الطريق خارج السور بينما يخرج الذين كانوا يحملون النعش من الكنيسة) .

الرجل الثانى : هذه هى نهايته ، نهاية النهاية .. كتلة من الظلام مسجاة فى كنيسة معتمة .

الرجل الثالث : كانت ميتة نبيلة قوية .

المفتش : (من مكانه قرب الشجرة) لم يكن غاية فى النبل أن يموت من أجل شلن واحد .

شيلا : لعله رأى الشلن فى شكل عالم جديد .

(يخرج الرجل الثاني والثـالث من البوابة ويختلطان بالواقفين هناك • يقترب المفتش من شيلا)

المفتش : أليس ينبغى عليك أن تبتعدى عن هذه المحزنة يا شيلا ؟ صدقينى ؛ لقد بذلت كل جهدى • ظننت أن الهجوم سيجعلهم يفرون ولكنهم لم يتحركوا ، لم يتحركوا حتى أطلق الجنود النار وأصيب هو • صـــــدقينى لقد بذلت كل جهدى • حاولت أن أقحم حصانى بينهم وبينه •

شيلا : (بهدوء) أصدقك يا حضرة المفتش فنجلاس •

المفتش : (يمســـــك ذراعها برفق) بل تنادينني « توم » يا عزيزتى • تعــالى يا شيلا تعالى ، ولننس هــذه الأمور ونحن نسير على مهل نحو البيت •

شيلا : (بحشرجة فى صــوتها) أوه ؛ الآن لا • أوه • الليلة لا • امض فى طريقك ودعنى أمضى فى طريقى وحيدة الليلة •

المفتش : (يأخذ يدها فى يده) شيلا ، شيلا اقتصـــــدى فى تفكيرك فى الموت ودعى الحياة تبتسم أمامك • اقتصدى فى تفكيرك فى موت انسان أمضى حياته فى غاية الطيش وفقدها كلها بغاية السرعة • ثروة من الحياة ساء مصدرها وساء مستقرها الى الأبد •

شيلا : (تسحب يدها من يده) أوه يا توم ، أرجو أن تـكون على حـق · أنت على حـق · لا بد أنـك على حق ·

(وصلا الى البوابة ووقفا هناك معا · الرجال والنساء على طول السور يرقبانهما ولو انهم يتظاهرون بعدم ملاحظتهما) ·

المفتش : سـوف ترين ذلك بوضـوح أكثر يا عزيزتى عندما تقيم عجلة الزمن الدوارة فى الفضـاء منظرا جديدا لصيف مجيد ، ويعلو صوت الأمل فى الربيع الوليد فيخمد صوت الموتى الذين لا يتسامحون ·

شيلا : (مفـكرة) قال ان الورود الحمـراء لم تخلق لى قط · هذا ما قاله قبل أن أتركه آخـر مرة · ان الوحدة العزيزة الليلة لا بد أن تعيننى على فهم هذا؛ لأن هذا هو ما قاله لى بالضبط · (فجأة وبعنف) أوه أنت يا مظلم العقل يا قاتل خيرة الرجال !!

(تجرى بعنف مبتعدة عنه وتخرج تاركة اياه مع الرجال والنساء الذين يقفون فى تراخ وكانما لايلحظون شيئا)

المفتش : (بعد سكوت) ماذا تفعلون هنا ؟ الى بيوتكم · الى بيوتكم أيهـا الفئران النحيلة ، الى جحوركم وخرائبكم · أتظنون أن أمثالكم وحدهم هـم الذين يزينهـم شرف الهـم القاتم ؟ (الرجال والنسـاء

يتفرقون ببطء وعناد حتى لا يبقى غير بريتان حاملا أرغنه على ظهره متكئا بجانب البوابة ٠٠ الى بريتان) هل سمعت ما قلته ؟ أأنت أصم ؛ أم ماذا ؟

بريتان : (بهدوء) أنا بروتستانتى ، وأصلى فى هذه الكنيسة ٠

المفتش : واحد من المختارين !! هكذا كان برايدون ، طيب ؛ ابتعد عن التجمعات غير القانونية ٠٠ ان الجنود لا ينتظرون ليسألوك عن الطريقة التى تتعبد بها قبل أن يرفعوا أيديهم ليضربوا ٠

(يخرج الى الطريق ببطء ٠ بعد لحظات يخرج القسيس ومسز برايدون من الكنيسة ٠ تضع شالا حول كتفيها)

القسيس : هاك ٠ هذا أحسن ٠ ان زوجتى تصر على أن تقضى الليلة معنا ولذا فلا مفر لك من هذا ٠

مسز برايدون : انها رحيمة القلب (تقف لتنظر الى شجرة الكمثرى) تلك هى الشجرة التى كان يحبها ، عارية أو مكللة بالزهر ٠ كنفسه تماما ، لأن الأشياء الجميلة كانت جزءا أصيلا من طبيعته : وبعدها يجىء التوت ، التوت الأحمر ؛ حمرة الدم الذى سال اليوم من جسده الأبيض٠ (فجأة٠٠ تلتفت فتواجه الكنيسة) هل يطفىء سام الأنوار ؟

القسيس : نعم ، قبل أن يذهب الى منزله لفضاء الليل .

مسز برايدون : أليس من المحـزن أن يرقد وحيـدا فى الظلام العبوس طول الليل !!

القسيس : (يعود للسقيفة وينادى) سام : اترك الأنوار مضاءة الليلة.

(تضاء الكنيسة مرة اخرى بعد ان تكون قد اظلمت)

انه ليس وحيدا بالقـدر الذى نظنينه يا صـديقتى العـزيزة ، بل حى مستبشر بلقـاء الله السعيد . تعـالى .

(يخرجان على مهل من البوابة ويمضيان . يقبل الشماس من الكنيسة ويقفـل الباب الخارجى ليغلقه اثناء الليل . بريتان ينزل الى الفناء)

صامويل : (متشكيا) النور يضاء طول الليل .. مزيد من ألاعيبه الرومانية .

بريتان : آه .. أنت هناك .. انتظر لحظة .

صامويل : ماذا تريد بحق جهنم ؟

بريتان : مجرد أن أغنى أغنية صغيرة كان يحبهـا ، علامة على الاحترام والمحبة وكختام لوداع أخير .

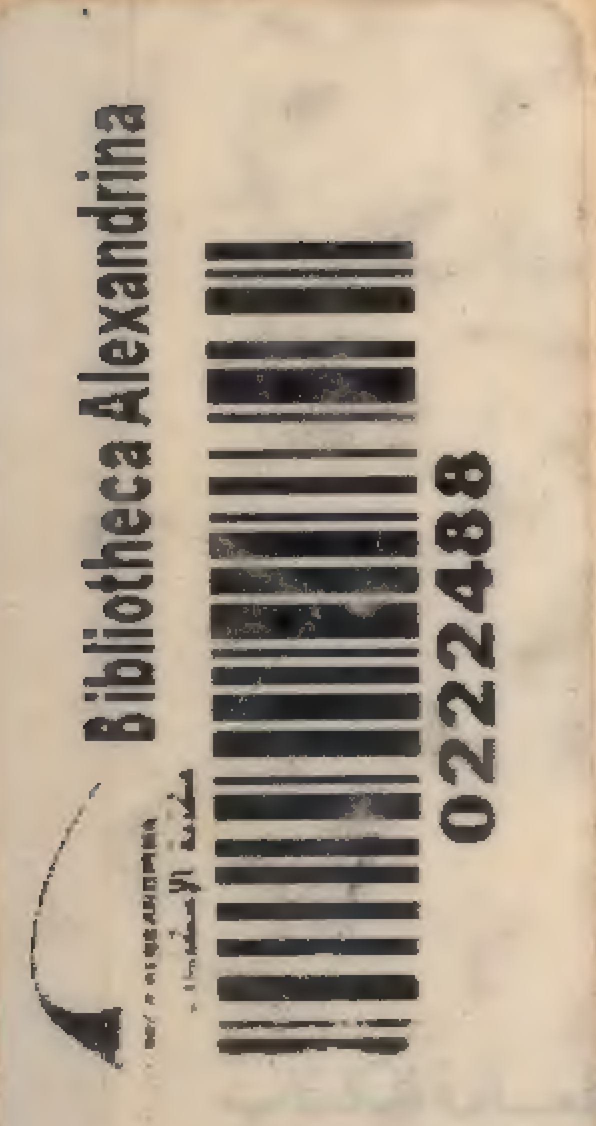
صامويل : (يقفل الباب بالقفل) وماذا تظنني ؟ أنت وأغنيتك ووداعك الأخير .

بريتان : (يعطيه قرشا)لبضع لحظات قصار . وخل الباب مفتوحا ليتسنى للصوت أن يصل اليه فى الداخل . (يفتح الشماس الباب) هو ذاك . انك رجل عطوف حقا .

(يقف بريتان ووجهه الى داخل السقيفة ، ويتكىء الشماس على حائطها . بريتان ينزل ارغنه ثم يدير بعض انغام افتتاحية وبعدها يغنى فى رقة) :

شال وقور أسود يخفى جسدها كله
مسته الشمس ورذاذ البحر المالح ،
ولكن فى أطواء الظلام يدا رشيقة بارعة الجمال
تحمل الى باقة من الورود الحمراء .
(تنقطع بقية الأغنية بانتهاء المسرحية)

ســـــتار



مطابع الهيئة المصرية ا

الثمن ٢٥ قرشًا